العدالة الطبيعية والكفارة

في حياة شاول وأجاج

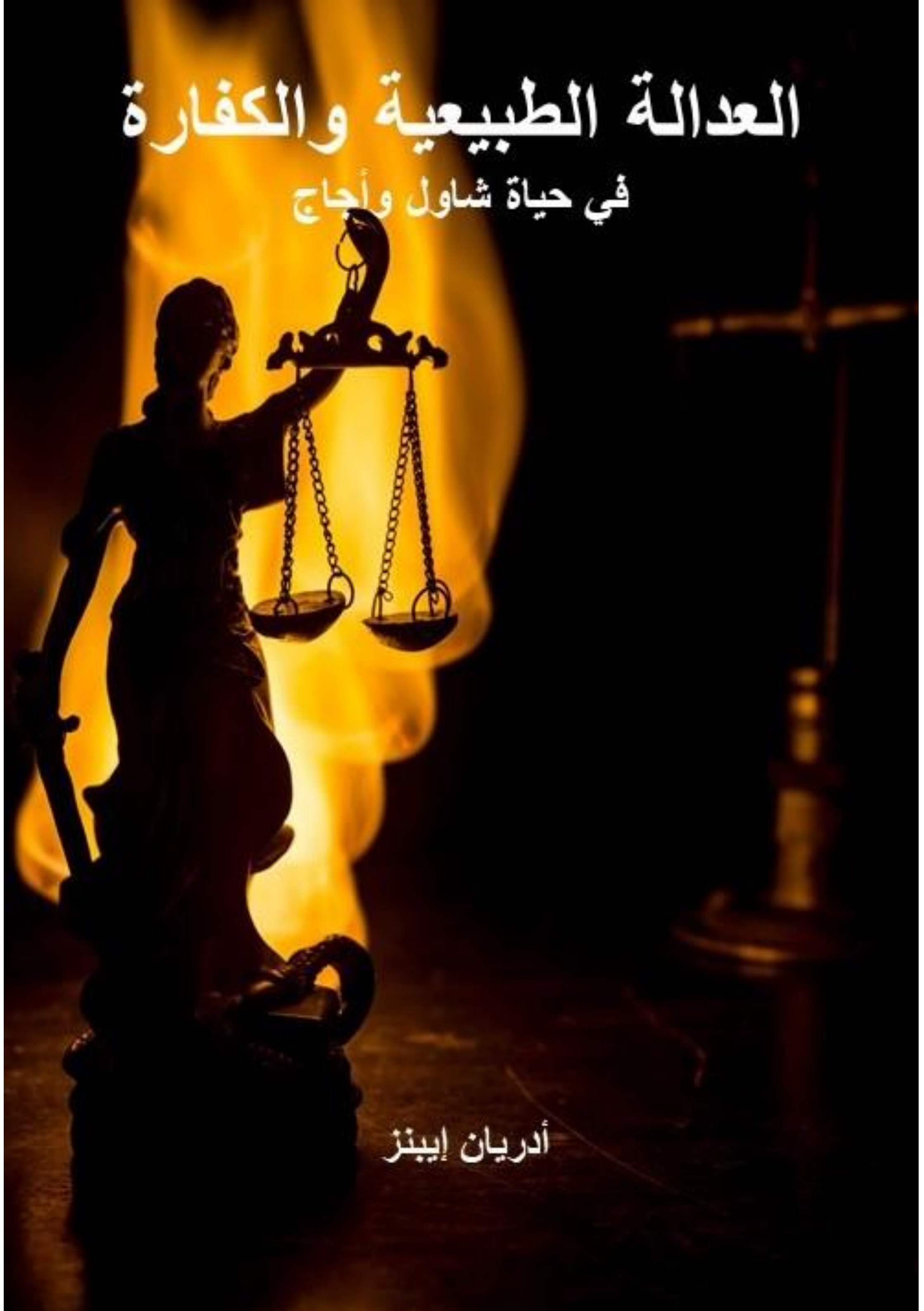

أدريان إيبنز

العدالة الطبيعة والكفارة

في حياة شاول وأجاج

أدريان إيبنز

"ربما تكون رأيت شيئًا في ما يتعلق ببر المسيح، إلا أن هناك حقائق ينبغي أن تُرَى بوضوح، ويجب أن تقدرها على أنها ثمينة مثل الجواهر واللآلئ النادرة. سوف ترى ناموس الله وتفسره للناس بنور مختلف تمامًا عن النور الذي تلقيته من قبل، لأنك سترى إله الرحمة والبر مُستعلنًا من خلال ناموس الله وشريعته. والكفارة، التي صنعتها ذبيحة يسوع المسيح العظيمة، سوف تراها أيضًا بنور مختلف تمامًا. وسوف ترى الخطية في بشاعتها وطبيعتها القبيحة" (مجلة علامات الأزمنة، 13 نوفمبر سنة 1893، الفقرة رقم 2).

تمت الطباعة بواسطة

MARANATHA
MEDIA

maranathamedia.com

ديسمبر 2018

المحتويات

1. قتل الأطفال الرضع 4
2. تعريف العدالة 6
3. تعريف العدالة المزيفة 6
4. سقوط الشيطان وملائكته 10
5. سقوط الإنسان 11
6. القضية الجوهرية 12
7. مذبح النحاس 15
8. الحيَّة النحاسية 16
9. إلهٌ غيورٌ 18
10. الأمر بقتل عماليق والسياق المرتبط بذلك 21
12. نبوة الربِّ ووصيته بخصوص عماليق 25
13. مواجهة مع صموئيل 28
14. موت أجاج 29
15. جروح صموئيل تُعلَن 31
16. الخاتمة 33

1. قتل الأطفال الرضع

إذا كنت من الأشخاص الذين باركهم الرب بنعمة البنين واختبرت بنفسك آلام المخاض والولادة، سوف تقدّر قدسية العلاقة الوثيقة التي تربط الطفل بوالديه. إن مشهد الطفل الصغير وهو يرضع من ثدي أمه هو واحد من عجائب خلقنا، فما من شيء في براءته وروعته وقيمته كهذا المشهد. استمع إلى الطريقة التي تصف بها بعض الأمهات ذلك الشعور:

> "لقد كان الوقت الذي أمضيته في إرضاع طفليَّ الصغيرين من الأوقات الخاصة في حياتي. فلديَّ ذكريات رائعة عن الساعات المتعددة التي كنت أقضيها معهما في تبادل الأحضان والترابط. فمشاهدة وجهيهما الصغيرين والشعور بدفء جسديهما عندما كنت أحتضنهما جعلني أشعر بالفخر والسعادة لأنني كنت أشعر أنني كنت أعطيهما أفضل بداية لحياتهما. لا يمكنني أن أقايض ذلك الوقت بأي شيء آخر، وفي بعض الأحيان أشعر بالشوق والحنين لذلك الوقت".

> "الرضاعة الطبيعية هي أكثر الأعمال حميمية بين الأم والطفل. لقد أرضعت طفلي، الذي يبلغ الآن 22 شهرًا، والآن أرضع ابني الثاني. وهذا ليس بالشيء الأفضل لابني فحسب، بل لي شخصيًا. فَإنها تساعدني حقًا على تقوية محبتي لابني. لقد كان سهر الليالي وساعات العمل الجنونية وقلة النوم، كل ذلك كان يستحق التعب والعناء، ولا سيما عندما أنظر إلى هذا الوجه الصغير الجميل وهو ينظر إليَّ". [1]

والآن وإذ نضع هذه الأفكار في الاعتبار، هيا بنا لنتأمل في نصوص الوحي المقدس التالية:

> "وَقَالَ صَمُوئِيلُ لِشَاوُلَ: إِيَّايَ أَرْسَلَ الرَّبُّ لِمَسْحِكَ مَلِكًا عَلَى شَعْبِهِ إِسْرَائِيلَ. وَالآنَ فَاسْمَعْ صَوْتَ كَلاَمِ الرَّبِّ. هكَذَا يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ: إِنِّي قَدِ افْتَقَدْتُ مَا عَمِلَ عَمَالِيقُ بِإِسْرَائِيلَ حِينَ وَقَفَ لَهُ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ صُعُودِهِ مِنْ مِصْرَ. فَالآنَ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ، **وَحَرِّمُوا (اذبحوا) كُلَّ مَا لَهُ وَلاَ تَعْفُ عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رَجُلًا وَامْرَأَةً، طِفْلًا وَرَضِيعًا، بَقَرًا وَغَنَمًا، جَمَلًا وَحِمَارًا**" (صموئيل الأول 15: 1 – 3).

على ما يبدو أن الله في النص السابق لا يأمر فقط بقتل الرجال، وإنما أيضًا بقتل النساء والأطفال الرضع. والكلمة "رضيعًا" الواردة في النص تحمل أيضًا معنى الرضاعة، أو الطفل الذي يرضع من الثدي.

نصوصٌ مثل هذه هي ما تجعل الملايين يبتعدون عن إله الكتاب المقدس. فعلى سبيل المثال يلخّص البرفيسور ريتشادر دوكينز شعور الكثيرين وحالتهم النفسية بالقول:

> "لا جدال بأن إله العهد القديم هو من أسوأ الشخصيات الأدبية: غيور وفخور بذلك، ويدقق بالتوافه، وظالم، وغير عادل، ومتسلط، وقاسي، ومنتقم، ومتعطش

---

[1] http://sharethejoysofbreastfeeding.blogspot.com/

للدماء، ومميت للأعراق، وكاره للنساء والمثليين، وعنصري، وقاتل للأطفال والشعوب، وقاتل للأبناء، ومسبب للأمراض، ومصاب بجنون العظمة، وسادي، وماسوشي، ونزوي، وحقود شرس يضرب بذات اليمين والشمال دون حساب" – ريتشارد دوكينز من كتاب وهم الإله.

وعندما يذهب المسيحيون إلى قادتهم الروحيين سعيًا للحصول على رد لهذه التعليقات، يتلقون الإجابات التالية:

"رغم أن ذلك الأمر يثير الاشمئزاز اليوم، فإن هذه الحروب القاسية لم تكن عبارة عن "إبادة جماعية". ليس بالمعنى الحديث لهذا المصطلح. فوفقًا لمعظم علماء الكتاب المقدس، كان ذلك في الواقع تعبيرًا عن دينونة الله الحالة على الكنعانيين. أو بمعنى آخر، فالربّ نفسه وليس يشوع أو موسى هو من قتل الأمم الوثنية التي كانت تسكن في أرض الموعد بحد السيف. **وهذا أمرٌ مشروع تمامًا من منطلق ديني ولاهوتي بحت، فالله هو الذي يمنح الحياة، ولذلك فهو أيضًا لديه السلطان أن يأخذها.** لقد كانت إسرائيل ببساطة هي الواسطة أو الوسيلة التي استخدمها الله لتنفيذ عقوبته. وتعقيبًا على هذا قال أحد المعلقين: "لقد كانت الحضارة الكنعانية فاسدة جدًا لدرجة أن التعايش مع سكانها كان سيشكل تهديدًا بالغًا لبقاء الأمة العبرانية ورفاهيتها الروحية. فأسرائيل هنا تمثل الوسيلة أو الأداة التي استخدمها الله لضمان تحقيق العدالة ضد أولئك الذين يرفضون أن يكرموه". [2]

وكثيرًا ما كنت أسمع أناسًا يصرخون قائلين: "من نحن لنشكك في ما يفعله الله؟ فهو الله ويمكنه أن يفعل ما يحلو له". وهذا يجعلني أتساءل: هل سبق لأولئك الذين يقولون مثل هذه الأشياء رؤية جندي ينتزع رضيعًا من أمه وهي تصرخ ثم يقوم بكسر رأسه وتحطيمها؟ هل سبق لهم وأن سألوا أنفسهم إذا كانت هذه الأفعال تمثل بالفعل إله الكتاب المقدس؟

كنت أنظر في أعين الناس عندما أسألهم إذا كانوا بالفعل يؤمنون أن الله يأمر بقتل الأطفال الصغار وذبحهم، وإذا كان ذلك يعبّر بالفعل عن صفات الله في تطبيق القصاص والدينونة. وكنت أتعجب بشدة وأقشعر على الإجابة بنعم التي كانت أسمعها والتي كانت تخلو تمامًا من أية مشاعر أو أحاسيس، ولكنها كانت تشبه فقط أفكار أولئك الذين يعيشون تحت حكم الديكتاتوريات مثل كوريا الشمالية. فهم يعتقدون أن التشكيك العلني لفهمهم المتعلق بعدالة الله هو بمثابة دعوة أو تمني الشيء ذاته للحدوث لهم، ولذلك فلا بد أن يعبّر المرء عن محبته لهذا الملك، وألا يسأل عن شيء أو أن يشك في شيء خوفًا من التعرض للموت.

الكتاب المقدس يقول أن المحبة الكاملة تطرد الخوف، ولكن كيف يمكن لإنسان أن يعبد ذلك الإله الذي يُظهِر صفاته بالضرب الوحشي والقتل الهمجي للأطفال الرضع، ويقدر أن يعيش حياته بدون خوف كما يقول الوعد؟

---

[2] focusonthefamily.com/family-q-and-a/faith/christian-struggles-with-biblical-accounts-of-genocide-and-holy-war

والسؤال يبقى: كيف يمكننا فهم القصد من القصص والأحداث التي تتعلق بقتل النساء أو بالأخص الأطفال الصغار؟

2. تعريف العدالة

يخبرنا الكتاب المقدس أن الله عادل.

> "الْعَدْلُ وَالْحَقُّ قَاعِدَةُ كُرْسِيِّكَ. الرَّحْمَةُ وَالأَمَانَةُ تَتَقَدَّمَانِ أَمَامَ وَجْهِكَ" (مزمور 89: 14).

والسؤال الطبيعي الذي يتبع ذلك هو: "ما هو التعريف الكتابي للعدل والعدالة؟" قبل الإجابة على هذا السؤال، ينبغي أن نتأمل في الآيات التالية:

> "**لأَنَّ أَفْكَارِي لَيْسَتْ أَفْكَارَكُمْ، وَلاَ طُرُقُكُمْ طُرُقِي، يَقُولُ الرَّبُّ.** لأَنَّهُ كَمَا عَلَتِ السَّمَاوَاتُ عَنِ الأَرْضِ، هكَذَا عَلَتْ طُرُقِي عَنْ طُرُقِكُمْ وَأَفْكَارِي عَنْ أَفْكَارِكُمْ" (إشعياء 55: 8 – 9).

وهذا يعني أن أفكارنا ومفاهيمنا عن العدالة هي بالطبيعة مختلفة عن الفكر الإلهي عن العدالة. وما يزيد الأمور صعوبةً هو أننا بالطبيعة نظن أن الله يفكر مثلنا.

> "تَجْلِسُ تَتَكَلَّمُ عَلَى أَخِيكَ. لابْنِ أُمِّكَ تَضَعُ مَعْثَرَةً. هذِهِ صَنَعْتَ وَسَكَتُّ. **ظَنَنْتَ أَنِّي مِثْلُكَ. أُوَبِّخُكَ**، وَأَصُفُّ خَطَايَاكَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ" (مزمور 50: 20 – 21).

فكيف حدث هذا؟ كيف أصبحت أفكارنا مختلفة عن أفكار أبينا في السماء؟ حدثت نقطة التحوُّل في عدن.

> "وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ" (تكوين 2: 17).

أقرَّ الله في البدء العقوبة المتعلقة بعدم طاعته. ولكي يتسنى للبشر أن يكون لديهم القدرة على الاختيار، وضع الله شجرة في وسط الجنة تُدعى "شجرة معرفة الخير والشر".

دون الخوض في كل المعاني العبرية لعبارة "موتًا تموتا"، دعونا نتأمل في الترجمة الحرفية وفقًا لقاموس يونغ:

> "ومن شجرة معرفة الخير والشر، لا تأكلا منها، لأنه في اليوم الذي تأكلان منها، موتًا سوف تموتا" (تكوين 2: 17).

3. تعريف العدالة المزيفة

لا تشير الآية إلى أي شيء بخصوص طريقة الموت، فالكلمات بكل بساطة توضح لنا أنه في حالة الأكل من الشجرة ستكون النتيجة هي الموت. إلا أننا نجد أن الشيطان يتدخل ويضع نفسه في الموضع الذي يأتي بين العصيان والنتيجة النهائية للموت. فقام بابتكار (اصطناع) فكرة عن العدالة والطريقة التي ينبغي أن تُنفَّذ أو تُطبَّق بها، ثم وضع ذلك على الله.

"عند بدء ذلك الصراع العظيم أعلن الشيطان أن شريعة الله لا يمكن حفظها، وأن العدل على نقيض الرحمة، **وأنه لو تعدى الخاطئ الشريعة فمن المستحيل أن تغفر خطاياه، وأنه لابد لكل خطية من أن تنال قصاصها** ـ هكذا قال الشيطان، وإنه إذا تجاوز الله عن معاقبة الخطية فلن يكون إله العدل والحق" (مشتهى الأجيال، صفحة 724).

"لقد كان من الصعب جدًا أن تظهر قوة الشيطان الماكرة وتتجلّى، فقد ازدادت قدرته على المكر والخداع بالممارسة. وإذا لم يكن بمقدوره الدفاع عن نفسه، فسوف يتحتّم عليه توجيه أصابع الإتهام، لكي يبدو وكأنه عادلٌ وبارٌ، **ولكي يجعل الله يبدو وكأنه متعسف وصارم وفظ. فشرع سرًا يهمس في آذان الملائكة عن سخطه وعدم رضاه. لم تكن هناك أية مشاعر واضحة ضد الله في البداية، لكن البذرة قد ذُرِعت، وقد تشوهت محبة الملائكة وثقتهم، وانفصمت الشركة الحلوة بينهم وبين الله. لقد كانت كل خطوة تُراقب، وكل عمل كان يُرى في النور الذي جعلهم الشيطان يرون من خلاله الأشياء.** وما غرسه الشيطان في أذهان الملائكة – كلمة هنا وكلمة هناك – أفسح الطريق لقائمة عريضة من الظنون والمزاعم. وبطريقته الماهرة الماكرة استمد منهم عبارات الشك. وبعد أن تمت مواجهته، وجَّه أصابع الإتهام لأولئك الذين كان قد علَّمهم من قبل، وقام بوضع كل استيائه وسخطه على أولئك الذين قادهم. **وكواحد في وظيفة مقدسة، أظهر رغبة شديدة في العدالة، لكنها كانت عدالة مزيفة، إذ أنها كانت تتعارض تعارضًا تامًا وكاملاً مع محبة الله ورحمته وإحسانه"** (مجلة الريفيو آند هيرالد، 7 سبتمبر سنة 1897، الفقرة 3 – 4).

في البداية غار لوسيفر من مركز المسيح ومكانته، وهذه الغيرة لم تكن ممكنة إلا في حالة واحدة فقط ألا وهي أن ينسى لوسيفر أن كل شيء يمتلكه مصدره هو المسيح والآب.

"والكرامات العظيمة التي أُغدقت عليه لم يقدّرها على أنها هبة الله الخاصة له، ولذلك لم يشكر الخالق عليها. لقد افتخر ببهائه وعظمته وسعى في أن يكون معادلاً لله" (الآباء والأنبياء، صفحة 17).

"طُرِد الملائكة من السماء لأنهم رفضوا أن يعملوا في وفاق مع الله. وسقطوا من مناصبهم العالية ومكانتهم الرفيعة لأنهم أرادوا نيل التعظيم والتوقير. وبدأوا يعظّمون ويمجّدون أنفسهم، **وتناسوا أن جمال شخصيتهم وجمال صفاتهم كان مصدره الربّ يسوع"** (هذا اليوم مع الله، صفحة 128).

إن جحود لوسيفر وقلة امتنانه هو ما جعله يشكك في حاجة الملائكة لأن تحكمهم شريعة الله.

"**وبدأ يوعز إلى غيره بالشكوك فيما يختص بالشرائع المفروضة على الخلائق السماوية**، قائلاً إنه مع كون الشرائع لازمة لسكان العوالم، **إلا أن الملائكة، لكونهم أرفع مقامًا من باقي الخلائق، فلا حاجة بهم إلى وازع أو رادع،** لأن حكمتهم هي خير مرشد لهم" (الآباء والأنبياء، صفحة 17 و18).

"**لقد إتخذ لوسيفر موقفًا مفاده هو أن الرغبة في إرتكاب الخطأ كانت توجد في السماء وعلى هذه الأرض، وقد أدى هذا إلى إتهام حكم الله بأنه حكم استبدادي وتعسفي.** لكن هذه الإكذوبة كانت من اصطناع رئيس كل الأكاذيب ومبتدعها. فحكم الله هو حكم قائم على الإرادة الحرة، وكل فعل عصيان وعدم طاعة هو ناجمٌ عن الإرادة الحرة وليس غير ذلك" (علامات الأزمنة، 5 يونيو 1901، الفقرة 4).

وهكذا قام الشيطان باختلاق إثمه ومفاسده من خلال الشريعة، وبهذه الطريقة استطاع أيضًا أن يثبت كرسيه وعرشه.

"هَلْ يُعَاهِدُكَ **كُرْسِيُّ الْمَفَاسِدِ**، الْمُخْتَلِقُ إِثْمًا عَلَى فَرِيضَةٍ؟" (مزمور 94: 20).

إن إكذوبة الشيطان القائلة بأن الملائكة كانت لديهم حياة متأصلة وملازمة لهم جعلتهم ينظرون إلى شريعة الله على أنها شريعة تعسفية واستبدادية ومُقيدة للحرية. وفي الوقت ذاته كان الشيطان يريد أن يكون مثل الله وأن يؤسس عرشه. وقد كانت فكرته عن العدالة هي أن الخطية التي ارتكبت ضده لا يمكن العفو عنها ومغفرتها. فلابد من معاقبة المعتدي الآثم وقتله بالقوة إذا لزم الأمر. ففي عالم الشيطان يمتلك كل شخص حياته الخاصة، ولذلك فالعقاب يتطلب قوةً لجعله عقابًا بائسًا زَرِيّاً أو لإنهائه.

كانت قدرة الشيطان على الإدانة ستقوده إلى وضع نظرية للعدالة لا تتفق مع الرحمة. فهو يدعي أنه يمثل صوت الله وقوته، ويدعي أن قراراته عادلة ونقية وتخلو من الخطأ. **فيعتلي منصبه على كرسي الدينونة** (العرش) ويعلن أن مشورته معصومة من الخطأ. **وهنا تظهر عدالته الخالية من الرحمة، وهي عدالة مزيفة يكرهها الله**" (المسيح المنتصر، صفحة 114).

لقد أعاد الشيطان صياغة الطريقة التي كان ينظر بها الملائكة إلى الكون. فكما قرأنا سابقًا:

"فشرع سرًا يهمس في آذان الملائكة عن سخطه وعدم رضاه. لم تكن هناك أية مشاعر واضحة ضد الله في البداية، لكن البذرة قد ذُرِعت، وقد تشوهت محبة الملائكة وثقتهم، وانفصمت الشركة الحلوة بينهم وبين الله. لقد كانت كل خطوة تُراقب، وكل عمل كان يُرى في النور الذي جعلهم الشيطان يرون من خلاله الأشياء" (مجلة الريفيو آند هيرالد، 7 سبتمبر 1897، الفقرة 3).

ونصف الملائكة تقريبًا أعربوا عن موافقتهم لأفكار لوسيفر ووجهات نظره.

"أعلن الشيطان دون خجل عدم رضاه لأن يُكرّم المسيح أكثر منه. وقف بكل تكبُّر وغطرسة، وألحَّ على أنَّه يجب أن يكون مُعادلًا لله وأن ينضمَّ إلى المجلس

مع الآب ويفهم مقاصده. أبلغ الله الشيطان، بأنَّه سيكشف مقاصده الخفيَّة لابنه فقط، وأنَّه طلب مِن كل عائلة السماء، حتى الشيطان، أن يقدموا له طاعة تامة لا جدال فيها. إلا أنّه (الشيطان) برهن بأنَّه لا يستحق مكانًا في السَّماء. **بعد ذلك أشار الشيطان بتهلُّل إلى المتعاطفين معه، الذين يُشكِّلون حوالي نصف الملائكة، وهتف قائلًا: "هؤلاء هم معي! هل** ستطرد هؤلاء أيضًا، وتُحدِث مثل هذا الفراغ في السماء؟" ثم أعلن بأنَّه مُستعد لمقاومة سلطة المسيح ولأن يُدافِع عن مكانته في السماء من خلال فرض القُدْرَة، قوَّة ضد قوَّة" (قصة الفداء، صفحة 10).

إلا أن باقي الملائكة قد تأثروا أيضًا. ولم تُطرَح مبادئ الشيطان إلى الأرض إلا بعد موت المسيح. أما الملائكة الأوفياء فبقوا مع الآب والابن، لكن الشيطان غرس بذارًا في أذهانهم كي لا يتمكنوا من الإجابة بسهولة. ولم يقدروا على تمييز خداع الشيطان تمييزًا كاملاً إلا بعد الصليب.

رأى الشيطان أن القناع الذي كان يخفي تحته حقيقته قد تمزق، فانكشفت سياسته الخادعة أمام الملائكة غير الساقطين وأمام مسكونة السماء، وأعلن عن نفسه كقاتل. **فإذ أهرق دم ابن الله فقد حرم نفسه من عطف الكائنات السماوية ومحبتهم.** ومنذ ذلك الحين صار عمله محصورًا. ومهما يكن الموقف الذي يتخذه **فإنه ما عاد ينتظر الملائكة عند عودتهم من السماء** ليتهم أمامهم إخوة المسيح بأنهم يلبسون ثياب السواد ونجاسة الخطية. لقد انفصمت آخر حلقة من حلقات العطف بين الشيطان والعالم السماوي" (مشتهى الأجيال، صفحة 723).

إن عمق البذار التي زرعها الشيطان في أذهان الملائكة بإمكانه أن يُرى في رد فعل الملائكة على ارتداد الإنسان وجحوده تجاه خالقه.

قبل مجيء المسيح الأول، كان يبدو أن العالم قد أصبح بالفعل مقبرةً لكل صلاح وتقوى، فقد كان كرسيًا للشيطان. وكان الإنسان في قبضة المرتد الأعظم، ولكونه مغلوبًا على أمره، فقد كان يقبل أكاذيب الشيطان فيما يتعلق بالله والمسيح ويعتبرها حق. **نظر ملائكة السماء إلى العالم الملوث بالخطية تحت سكانه، ورأوا أنه من الأسهل إبادته بدلاً من إصلاحه. إلا أن ابن الله بنفسه جاء ليقوم بعمل الإصلاح هذا"** (صدى الكتاب، 8 مارس 1897).

"قبل مجيء المسيح الأول، كانت خطية رفض الامتثال لشريعة الله واسعة الانتشار. فمن الواضح أن قوة الشيطان كانت تتزايد، وكانت رغبته في محاربة السماء تزداد عزيمةً وإرادةً، فأدى ذلك إلى حدوث أزمة. وباهتمامٍ شديدٍ كانت خُطى الله وتحركاته تُراقب من قبل ملائكة السماء. فهل يخرج من مكانه ليعاقب سكان العالم على إثمهم وخطيتهم؟ **وهل يُرسِل نارًا أو طوفانًا ليُهلِكهم؟ <u>انتظرت السماء بأسرها أمر قائدها كي تسكب جامات الغضب على العالم المتمرد. فبكلمة واحدة منه أو علامة واحدة لهلك العالم، وصرَّحت العوالم غير الساقطة بالقول:</u> "آمين،** بارٌ أنت يا الله لأنك محوت العصيان وأفنيته". ولكن **"هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية".** لقد كان باستطاعة الله أن يُرسِل ابنه ليدين، ولكنه أرسله ليخلّص. جاء المسيح كفادي ومخلص. **<u>لا توجد كلمات تستطيع أن تصف تأثير هذه الخطوة على</u>**

ملائكة السماء. ولم يكن بوسعهم إلا أن يهتفوا بدهشة وإعجابٍ قائلين: "هذه هي **المحبة!**" (إظهار المسيح، صفحة 58).

وهذا لا يعني أن الملائكة كانوا يرغبون في قتل سكان هذا العالم بشكل مباشر، بل بالأحرى أن يتحمَّل الإنسان فورًا عواقب اختياراته وقراراته الشخصية. فلو أمر الله بإرسال الرياح الأربعة قبل أن يصنع البشر أجمعين قرارهم واختيارهم، وقبل أن يُستَعلَن الصراع العظيم أمامهم بشكلٍ تامٍ، لأُعتبِر ذلك عملاً من أعمال القوة التعسفية الاستبدادية، لكن مبدأ القوة والإجبار ليس جزءًا من ملكوت الله.

فحتى تتبدد غياهب الظلمة ويشرق النور، وحتى يعود العالم إلى الله كان لابد من سحق سلطة الشيطان الخادعة. ولكن هذا لم يكن تحقيقه ممكنا بالعنف أو القوة. **فاستخدام القوة والقهر مناقض لمبادئ حكم الله، فهو لا يرغب في غير خدمة المحبة، والمحبة لا تجيء بالأمر أو الإكراه والإرغام.** ولا يمكن اكتساب محبة القلوب بالعنف أو قوة السلطان، فالمحبة لا يوقظها سوى المحبة" (مشتهى الأجيال، صفحة 19).

4. سقوط الشيطان وملائكته

أثناء الحرب التي دارت في السماء، كان الله على استعداد أن يعفو عن لوسيفر وملائكته بشرط التوبة والخضوع له.

> "لكنّ الله في رحمته العظيمة احتمل لوسيفر وصبر عليه طويلاً. فلم يحطَّه عن مركزه السامي حالما داخله روح التذمر ولا حتى عندما بدأ يتشدق بادعاءاته الكاذبة أمام الملائكة المخلصين. فلقد أبقي في السماء طويلاً. **وقُدِّم له الغفران مرة بعد الأخرى على شرط التوبة والخضوع**" (الصراع العظيم، صفحة 539 و540).

وكثيرون من أتباع لوسيفر كان لديهم الميل والرغبة في قبول هذا العرض الكريم، وهذا ما أقلق الشيطان وجعله يخطو خطوة هائلة في الظلام، إذ أخبر الملائكة شيئًا يعلم إنه لا يمت للواقع أو للحقيقة بصلة.

> "**أراد كثيرون مِن المُتعاطفين مع لوسيفر العمل بمشورة الملائكة المخلصين** والرجوع عن عنادهم وتذمرهم، وأرادوا أن ينالوا مرة أخرى ثقة الآب وابنه الحبيب. **حينئذ أعلن الثائر القوي بأنَّه كان خبيرًا بشريعة الله**، وأنَّه إذا قَبِل الخضوع لطاعة الذُّل، ستُنتَزَع عنه كرامته. لن تعود الثقة فيه لتولِّي مسؤولياته الرفيعة. **وقال لتابعيه بأنَّه هو وهم أيضًا قد تورَّطوا وذهبوا أشواطًا بعيدة يصعب عليهم العودة منها، وسوف يتحمَّل العواقب، فهو لن يسجد ويُقدِّم عبادة الذُّل لابن الله؛ وهذا ما لن يغفره الله، والآن عليهم أن يفرضوا حرِّيتهم ويحصلوا بالقوَّة على المنصب والسلطة التي لم تُمنَح لهم عن طيب خاطِر**" (روح النبوة، المجلد 1، صفحة 20 و21).

وللإسف فثلث الملائكة صدقوا الشيطان. لقد ظنوا أنهم ابتعدوا بعيدًا جدًا لاعتقادهم الخاطئ أن الله لن يعفو عنهم أو يغفر لهم خطيتهم. وعلى هذا الاعتقاد ثبَّت الشيطان عرشه وأسَّسه، وهو عرش مبني على مبادئ الموت. أما الملائكة الآخرون الذين تبعوا الشيطان فقد اختاروا أن يؤمنوا إن الله سيمنحهم العفو والغفران، وتم الترحيب بهم مجددًا في أحضان المسيح والآب بكل شوقٍ وشغفٍ.

عندما صرَّح الشيطان كذبًا أن غفران الله صعب المنال، فإنه كان يقول شيئًا خاطئًا وباطلاً عن صفات الله. إن شريعة الله هي صورة طبق الأصل من صفاته.

> "لقد جاء المسيح إلى العالم ليعلن صفات الله كما هي معلنة في شريعته المقدسة، لأن شريعته هي صورة طبق الأصل من صفاته. كان المسيح هو الشريعة والإنجيل كليهما" (المسيح المنتصر، صفحة 339).

> "إن شريعة الله مقدسة كالله نفسه، وهي إعلان إرادته، وصورة طبق الأصل من صفاته، وهي التعبير عن محبة الله وحكمته" (الآباء والأنبياء، صفحة 33).

ولذلك فعندما نصدّق الكذب عن صفات الله، فنحن بذلك نخطئ. والخطية هي التعدي على الناموس (الشريعة)، والناموس هو الصورة طبق الأصل لصفات الله. ولذلك فالخطية هي التعدي على صفات

الله. لقد أخطأ الشيطان عندما قال أن الله لن يغفر أو يعفو. أخطأ عندما قال أن رحمة الله وعدله لا يتوافقان. هذه هي الخطية التي تسبب الموت، وهذا هو ما يجعل الشيطان مبتدع الموت ومن لديه سلطان الموت.

"إن الشيطان هو رئيس الموت ومبتدعه" (الإيمان والأعمال، صفحة 73).

"فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا كَذلِكَ فِيهِمَا، **لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ**" (عبرانيين 2: 14).

إذا كان الشخص لا يؤمن أن مصدر الحياة وواهبها سيغفر لهم وهذا الشخص يعتمد عليه لكي يعيش، فهذا الشخص سيموت بالتأكيد. "موتًا يموت". إن الإتهام الموجَّه إلى الله بأنه لا يعفو أو يغفر يضع الشخص في طريقه نحو الموت المؤكد.

5. سقوط الإنسان

عندما أكل الإنسان من ثمر الشجرة، فإنه بذلك قَبِل تهم الشيطان وأكاذيبه بشأن صفات الله. ونفس الأكذوبة التي أدخلها الشيطان إلى السماء وتسببت في سقوط ثلث الملائكة تسببت أيضًا في سقوط الإنسان.

"إن المخادع العظيم **بكذبته المصممة ضد حكومة الله تسبب في سقوط الإنسان،** وبالتالي فقد فقد الإنسان أحقيته في أن يكون ضمن رعايا مملكة الله المخلصين. لم يسمح الشيطان بإطلاق سراح أسراه، **وأجبرهم على أن يكونوا رعاياه لتصديقهم الأكاذيب التي نطق بها**".

كذب الشيطان على الملائكة وأخبرهم أن الله لن يغفر لهم. وأخبر الشيطان آدم قبل سقوطه أن الله لن يغفر لحواء بل سيقتلها، مما جعل آدم يصدق الكذبة التي مفادها أن الله لن يغفر أو يعفو. وبمجرد أن أوقع الشيطان أبوينا الأولين في الفخ، أعاد التأكيد على أن الله لن يرحمهم أو يعفو عنهم.

"قال لهما الله ألا يمسّا شجرة المعرفة. ولكن ها هو المجرِّب مقبلاً، فبدلاً من إطاعة كلام الله، أعارا المجرِّب أذانًا صاغية وأطاعا كلامه. فماذا كانت النتيجة؟ لقد فُصِلا وطُرِدا من بيتهم في جنة عدن. وعندما ذهب الله إليهما ليستجوبهما، فأخبراه بما حدث. فالصوت قال لهما أن يأكلا، فأطاعا وأكلا. حيئنذ استمع آدم وحواء لأول عظة إنجيلية في عدن (تكوين 3: 15) ... نظر المسيح إلى عالمنا قبل أن يأتي إليه، ورأى الشيطان يمارس سلطانه وقوته على الأسرة البشرية، وبسبب معصية آدم أعلن ملكيته وسيطرته على الأسرة البشرية بأسرها. وكان يشير إلى المصائب والكوارث والأمراض التي كانت تحل عليهم ويضعها على الله، **مدعيًا أن الله لن يرحمهم أو يشفق عليهم، وأنه يتعيَّن عليهم أن يكونوا في قبضته ويخضعوا له**" (المخطوطة رقم 16).

أخبر الشيطان آدم وحواء نفس الإكذوبة التي قالها للملائكة. فأخبرهما أن الله لن يرحمهما أو يشفق عليهما، أي أنه لن يغفر لهما أو يعفو عنهما. كما أخبرهما أنهما ابتعدا بعيدًا جدًا، ويتعيَّن عليهما أن يكونا في قبضته وأن يخضعا له. وعندما سقط آدم، فقد صار فكره متحدًا مع فكر الشيطان.

"يصرِّح الله قائلاً: "وأضع عداوة". هذه العداوة لا يرحب بها الناس عادة. **فعندما تعدى الإنسان على شريعة الله صارت طبيعته شريرة. ولم يعد هنالك نفور أو خلاف بينه وبين الشيطان بل ساد بينهما الوفاق والوئام.** وفي العادة لا يوجد أي عداء بين الانسان الخاطئ ومبتدع الخطيئة. فلقد صار كل منهما شريرًا بسبب الارتداد. والمرتد لا يجد أبدًا راحة إلا إذا حصل على العطف والمعاضدة بإغواء الآخرين على التمثل به. **ولهذا السبب يتحد الملائكة الساقطون والناس الأشرار في زمالة مستيئسة**" (الصراع العظيم، صفحة 549).

6. القضية الجوهرية

عندما أخطأ الإنسان احتضن فكر الشيطان بخصوص العدالة والرحمة. فأصبح عدل الشيطان عدل الإنسان. تلخّص إلن هوايت ذلك بالكلمات التالية:

> "بدأت الحرب ضد شريعة الله في السماء. وكان الشيطان عازمًا ومصممًا على إخضاع الله لأفكاره وطريقه وإجباره على تغيير شريعة حكمه. كان ذلك السبب في الحرب التي حدثت في السماء. وحاول الشيطان كسب تعاطف الجند السماوي بأسلوبه الممتلئ كذبًا وخداعًا، لكنه طُرِد من السماء، **والآن فهو عاقد العزم على تنفيذ الخطط التي وضعها وأسسها في السماء على هذه الأرض.** فلو استطاع إقناع الإنسان بالتعدي على شريعة الله، سوف يشعر بأنه حقق رغبته في الانتقام من الله. **وهو يعمل جاهدًا ليغرس في أذهان الناس ضلالاته البارعة وحيله الماكرة، فيفسد بذلك الدينونة والعدل، ويدوس على شريعة الله بأقدامه.** إن هذا العمل المتمثل في الصراع بين الحق والباطل هو أساس التجارب والضيقات التي سيختبرها أبناء الله. هذا هو "إمتحان إيمانهم" (من مخطوطات روح النبوة، مخطوطة 12، صفحة 37).

إن الأفكار الكاذبة (المغلوطة) عن العدل والدينونة تدوس على شريعة الله بأقدامها. لقد استطاع الشيطان أن يوقع الإنسان في قبضته من خلال العدالة المزيفة، وأن يضع الإنسان في السجن، وأن يطالب الله بالفدية.

> "رفض الشيطان أن يطلق سراح أسراه، وقد أجبرهم على أن يكونوا رعاياه لتصديقهم الأكاذيب التي نطق بها. **فأصبح بذلك حارس سجنهم، إلا أنه لم يكن لديه الحق في المطالبة بأن تُدفَع فدية لهم،** لأنه لم يحصل عليهم بانتصار شرعي بل تحت ادعاءات كاذبة. إن الله، بصفته صاحب الدين، كان لديه الحق بتدبير أي شيء من أجل فداء البشر، **لكن العدالة تطلبت بدفع ثمن معين، وكان ابن الله هو الوحيد الذي استطاع أن يدفع هذا الثمن.** لقد تطوع بإرادته ليأتي إلى هذه الأرض ويمشي على الأرض التي سقط آدم فيها" (الخطاب رقم 20، سنة 1903، صفحة 12 و13).

طالب الشيطان بأن ثمنًا ينبغي أن يُدفَع. وعلى الرغم من عدم أحقيته في المطالبة، لكنه طالب بذلك. وإلن هوايت تقول أن العدالة تطلبت بدفع ثمن معين. هذه ليست عدالة الله لأن الله لا يطالب بدفع ثمن أو فدية بل الشيطان هو الذي يطالب بذلك. إن عدل الله المتمثل في فعل الصواب هو إظهار الرحمة للجنس البشري وذلك بتلبية مطالب الشيطان. لقد كان لدى الله الحق في إرضاء عدالة الشيطان المليئة بالمخاطر من خلال رحمته التي لا يسبر غورها.

> **"لقد أوضحت مهمة المسيح إلى العالم وأكدت على أن الجنس البشري كان مهددًا بغضب العدالة،** وأنه كان على حافة الهلاك الأبدي في عجز ويأس وجهل" (مجلة علامات الأزمنة، 5 فبراير 1894، الفقرة رقم 5).

لم يكن الله وابنه بحاجة للتكفير عن طريق الموت. لم يطالبا بأن ثمنًا ينبغي أن يُدفَع لإرضاء مشاعرهما عن العدالة.

"يا له من مخلص مبارك! لقد تطلبت العدالة أن يتألم الإنسان، لكن المسيح تألم كإله. **لم يكن بحاجة إلى كفارة آلام عن نفسه، فآلامه كلها كانت من أجلنا، وكل استحقاقاته وقداسته كانت متاحة للإنسان الساقط، مقدمًا إياها له كعطية، فهل سيقبلها؟** وقد كان مقدار الآلام التي اختبرها موازيًا لقداسته التي لا حدود لها وطهارته الكاملة عديمة الفساد" (الخطاب رقم 12، سنة 1892، صفحة 4).

لقد تطلبت عدالة الشيطان معاناة الإنسان وألمه، لكن عدالة الله أرسلت المسيح إلى العالم ليُظهِر آلام الله ورحمته الفائقة. كانت آلام المسيح لأجلنا لأننا قبلنا أكذوبة الشيطان التي تطلبت الموت. لقد دفع الثمن الذي ظننا أنه ينبغي أن يُدفَع، وهذا يفتح قلب الإنسان للإيمان بأن الله يستطيع أن يغفر لنا خطايانا ويعفو عنا.

عندما نخطئ، يُعذّبنا الشيطان ويجعلنا نؤمن أن الله غير راضٍ عنا ويضغط علينا كي نستسلم ونيأس.

"**إن الشيطان بضغطه على النفس البشرية فكرة أن الله غير راضٍ عنا، يحاول أن يُعذّبنا ويقودنا إلى الشك والإلحاد.** ولكننا ينبغي أن "نفرح في الرب في كل حين" (اقتباس من بطرس الأولى 1: 6 – 9). فالربّ يسوع هو رجاؤنا الوحيد، وهو رجاؤك، وأنا مكلَّفة باسمه أن أطلب منك أن تضع ثقتك التامة فيه (اقتباس من إشعياء 57: 15)" (مخطوطات روح النبوة، مخطوطة رقم 12، صفحة 37).

عندما أتى الله إلى آدم في الجنة بعد سقوطه في الخطية، استطاع أن يفهم كلام الله من خلال وجهة نظر النظام الشيطاني للعدالة. فلم يُصدِّق آدم أن الله سيغفر له ويسامحه، كما كان يظن أنه يمتلك حياته الخاصة بأكله من شجرة معرفة الخير والشر. فكيف يمكن لآدم أن يفهم مقاصد الله لحياته وهو لديه هذا الفهم الجديد للعدل والعدالة؟

"فَقَالَ: سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ **فَخَشِيتُ**، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ" (تكوين 3: 10)

ما هو السبب الذي جعل أدم خائفًا؟

"وَيُعْتِقَ أُولئِكَ الَّذِينَ **خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ** كَانُوا جَمِيعًا كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ" (عبرانيين 2: 15).

"مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ، **وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ**، وَهكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ" (رومية 5: 12).

كان آدم يخشى أن يقتله الله. فالكلمات التي قالها الله: "لأنك يوم تأكل منها موتًا تموت" فهمها آدم على أنها تعني أن الله سيقتله. وإذ ينظر آدم إلى العدالة بنفس الطريقة التي ينظر بها الشيطان إليها، فإنه يرى أن خطيته تستوجب العقاب. كما أنه يرى أن الله لن يرحمه أو يشفق عليه، ويبرِّر ذلك بأن الله كان قد صرَّح بأن الموت هو عقاب خطيته. ولذلك خاف آدم عندما اقترب إليه الله واختبأ خوفًا من الموت.

يمكننا أن نفهم أهمية ما سيحدث بعد ذلك في ضوء تسلسل الأحداث هذا.

"فَقَالَ: «مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا؟» فَقَالَ آدَمُ: «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ»" (تكوين 3: 11 – 12).

لقد كان آدم يخشى أن يموت، وعندما أتى إليه الرب الإله ليستجوبه، لم يجد وسيلة طريقة إلا أن يورّط زوجته ويتهمها بأنها كانت السبب، وبالتالي فهو يتهم أيضًا ابن الله باعتباره السبب الرئيسي لأنه خلقها. وباتهامه لزوجته، فإنه في الواقع يضعها في موقف مواجهة عقوبة الموت كما يفهمها هو. فكان مستعدًا في داخله للتضحية بها كي ينقذ ويخلّص نفسه. وهذا الفكر هو ما أدى إلى ظهور اللاهوت القائم على الاسترضاء، ونشأة عقيدة البدلية العقابية. [3]

من المهم جدًا أن نلاحظ أنه عندما سقط آدم في الخطية، صوتًا من عرش الله سُمِع يتحدث.

> "**عندما أذعن آدم لتجربة العدو، وسقط من مكانته السامية والمقدسة، فرح الشيطان وملائكته. ولكن صوتًا من عرش الله سُمِع يتحدث بكلمات غامضة. "بِذَبِيحَةٍ وَتَقْدِمَةٍ لَمْ تُسَرَّ. أُذُنَيَّ فَتَحْتَ. مُحْرَقَةً وَذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ لَمْ تَطْلُبْ. حِينَئِذٍ** قُلْتُ: هأَنَذَا جِئْتُ. بِدَرْجِ الْكِتَابِ مَكْتُوبٌ عَنِّي: أَنْ أَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا إِلهِي سُرِرْتُ، وَشَرِيعَتُكَ فِي وَسَطِ أَحْشَائِي". عندما سقط الإنسان، **أعلن المسيح عن هدفه أن يصير بديلاً عن الإنسان وضامنًا له**" (مجلة الريفيو آند هيرالد، 3 سبتمبر 1901، الفقرة 3).

نرى أنه عندما سقط آدم في الخطية، فإن الربُّ أعلن أنه لم يُسرَّ بذبيحةٍ وتقدمة ولم يطلب مُحرقة وذبيحة خطية. ومما لا شك فيه أن المسيح قدّم نفسه بديلاً عن الإنسان، آخذًا ويل الإنسان على عاتقه، لكنه لم يكن بديلاً عن الله، فالله لم يطلب الموت لكي يشبع ويرضى ويُسرُّ.

كان آدم على استعداد لتقديم زوجته كبديلٍ عنه، كذبيحة. لكن الله لم يُسرَّ بتقدمات مثل هذه، ولم يطلب ذبيحة على الإطلاق. ولكن في تصور آدم، الذي يسيطر عليه الآن المفهوم الشيطاني للعدالة، لا يمكن أن تكون هناك كفارة (أو أن يحدث تكفيرًا) بدون عقاب. لقد كان إدراكه لمطالب الله أنها تستوجب الموت. فما يحدث هو أن الإنسان يُلقي أو يُسقِط أفكاره الخاطئة عن العدالة على الله، وبعد ذلك يؤمن بأن العدالة الإلهية تتطلب موت الخاطئ الأثيم.

ومن هذا المنطلق وبهذا الفكر يحكم الشيطان العالم. وهذا المبدأ هو الذي يجعل العدالة تظهر وكأنها تتعارض مع رحمة الله.

> "**العدل والرحمة وقفا منعزلين عن بعضهما، في مواجهة بعضهما البعض، وكانت تفصل بينهما هوةً كبيرةً.** لقد ألبس الربُّ فادينا ألوهيته بالناسوت، وصنع للإنسان شخصية وصفات لا دنس فيها ولا عيب. لقد وضع الصليب في منتصف

---

[3] عقيدة البدلية العقابية يمكن شرحها ببساطة: "البشرية تستحق العقاب على خطاياها. وعندما مات المسيح، أخذ مكان البشرية: وعاقب الله المسيح بدلاً من معاقبته للبشر. وبذلك نُفذ العقاب وتحققت عدالة الله. أو بصياغة أخرى: البشرية تستحق العقوبة بسبب الخطية، وقد تحمل المسيح العقوبة في موت الصليب بدلًا منا.

الطريق بين السماء والأرض، وجعله وسيلة جذب تربط بين الطريقين، **وكان العدل والرحمة يجتازان على هذه الهوة.** **لقد انتقل العدل من عرشه السامي الجليل، ومع كل جيوش العلاء (جنود السماء) اقترب من الصليب. وهناك رأى واحدًا معادلاً لله حاملاً عقوبة الظلم والخطية. وبرضا تام، سجد العدل في وقار عند الصليب قائلاً: هذا يكفي**" (نشرة المجمع العام، الربع الرابع، سنة 1899، المجلد 3، صفحة 102).

قد تجعلنا قراءة الفقرة السابقة نعتقد أنه عندما انتقل العدل من العرش واقترب إلى الصليب فإن ذلك يشير إلى الآب، فالفقرة تقول أن كل جيوش السماء اقتربت من الصليب. لقد أثبتنا سابقًا أن الشيطان أسس عرشه من خلال نظام عدالة مزيف يكرهه الله. والشيطان هو الذي جعل العدالة تتعارض مع الرحمة في أذهان الملائكة والناس. وكل أجناد السماء تأثروا بذلك. كما أننا نلاحظ أن تعاطف ملائكة السماء مع الشيطان لم يُقتَلَع أو ينتهي إلا بعد أن مات المسيح على الصليب. فيصرِّح الرسول بولس بالقول:

"**وَأَنْ يُصَالِحَ بِهِ الْكُلَّ لِنَفْسِهِ،** عَامِلًا الصُّلْحَ بِدَمِ صَلِيبِهِ، بِوَاسِطَتِهِ، سَوَاءٌ كَانَ: مَا عَلَى الأَرْضِ، أَمْ **مَا فِي السَّمَاوَاتِ**" (كولوسي 1: 20).

لم يتخيل أو يتصوَّر الشيطان الأناني أن الله يمكنه أن يتنازل في سبيل تلبية مطالب العدالة التي أسسها الشيطان. وقد صارت نظرية العدالة المزيفة بدون رحمة هي التكلفة الافتراضية للفدية لإقناع البشر والملائكة بأن الكفارة قد تحققت. ولم ينفصل الآب السماوي أو يبتعد عنا بأي حال من الأحوال أو في أي وقت من الأوقات، لكننا نحن الذين انفصلنا وابتعدنا عنه، ونحن من نحتاج للتوبة والإقناع. ولذلك نقرأ:

"وَكُلُّ شَيْءٍ تَقْرِيبًا يَتَطَهَّرُ حَسَبَ النَّامُوسِ بِالدَّمِ، وَبِدُونِ سَفْكِ دَمٍ لاَ تَحْصُلُ مَغْفِرَةٌ!" (عبرانيين 9: 22).

ولهذا السبب أسس الله نظام تقديم الذبائح لطمأنة الإنسان، وهذا النظام كان مغلفًا، مثل الإنسان، بعدالة الشيطان المزيفة، حتى ينال العفو والمغفرة. إن نظام تقديم الذبائح لم يكن شيئًا يريده الله، لكنه كان انعكاسًا لفكر الإنسان الذي يؤمن بنظرية البدلية العقابية. ومع ذلك، فقد استطاع الله، من خلال هذه الأفكار الخاطئة، أن يعرّف الآباء بإحسانه ومراحمه الحنونة. لقد كان نظام تقديم الذبائح مرآة تنعكس في قلب الإنسان. فكان يُظهِر له خطيته حتى يتسنى له أن يدرك أنه بعد أن سمح لعقله أن يتلوَّث بفكرة الشيطان عن العدالة، فإن الأمر كان سيتطلب موت ابن الله لتحريره من الإحساس بالذنب. إن استطعت أن تفهم هذه الحقيقة وتستوعبها، فإن الحق سوف يحررك، وسوف يُبطِل في قلبك الذبائح والتقدمات التي ترغب في تقديمها لإرضاء ذلك الإله الغاضب المنتقم.

7. مذبح النحاس

وهناك أيضًا أدلة وبراهين أخرى عن هذه الحقيقة، فالمحرقة أو ذبيحة الحمل كانت تُقدَّم على مذبح نحاس.

> "وَصَنَعَ مَذْبَحَ الْمُحْرَقَةِ مِنْ خَشَبِ السَّنْطِ، طُولُهُ خَمْسُ أَذْرُعٍ، وَعَرْضُهُ خَمْسُ أَذْرُعٍ، مُرَبَّعًا. وَارْتِفَاعُهُ ثَلاَثُ أَذْرُعٍ. وَصَنَعَ قُرُونَهُ عَلَى زَوَايَاهُ الأَرْبَعِ. مِنْهُ كَانَتْ قُرُونُهُ. **وَغَشَّاهُ بِنُحَاسٍ**" (خروج 38: 1 – 2).

كان النحاس معدنًا صمَّمه واحد من أحفاد قايين.

> "وَصِلَّةُ أَيْضًا وَلَدَتْ تُوبَالَ قَايِينَ الضَّارِبَ كُلَّ آلَةٍ مِنْ نُحَاسٍ وَحَدِيدٍ. وَأُخْتُ تُوبَالَ قَايِينَ نَعْمَةُ" (تكوين 4: 22).

يصوِّر الكتاب المقدس النحاس باعتباره شيئًا غير مرغوب فيه.

> "يَا ابْنَ آدَمَ، قَدْ صَارَ لِي بَيْتُ إِسْرَائِيلَ زَغَلًا. **كُلُّهُمْ نُحَاسٌ** وَقَصْدِيرٌ وَحَدِيدٌ وَرَصَاصٌ فِي وَسْطِ كُورٍ. **صَارُوا زَغَلَ فِضَّةٍ**" (حزقيال 22: 18).

النحاس هو خليط معدني يتكون من معدن النحاس نفسه والزنك. هذان العنصران يقاومان واحدهما الآخر في جسم الإنسان، فالمستويات المرتفعة من النحاس، يمكن أن تثبط مستويات الزنك. ولذلك فالعلاقة التي تجمع بينهما هي علاقة عدائية. ويبدو أن هذا يتماشى تمامًا مع الموقف الذي حدث في أذهان الملائكة والبشر حول العلاقة بين رحمة الله وعدالة الشيطان المزيفة التي استولت على الكون. لقد كانا الإثنان مخالفين لواحدهما الآخر. ولذلك فمن خلال الرموز الخاصة بالنحاس، تُعلِن لنا أسفار الوحي المقدس أن الصليب يحدث وفقًا لمبادئ عدائية. ولكن بمجرد أن يستعيد العقل البشري صلته بالرحمة الإلهية بواسطة الصليب، فالطريق يُفتَح أمامه فيتطهَّر عقله وذهنه من النحاس ويشترك في الأكل من شجرة الحياة التي تحتوي فقط على الذهب والفضة.

> "نرى هنا شجرة الحياة وعرش الله. ومن العرش خرج نهر ماء نقي، وعلى جانبي النهر شجرة الحياة. وعلى أحد جانبي النهر كان يوجد جذع الشجرة، **وعلى الجانب الآخر جذعٌ آخر، كلاهما من الذهب الخالص الشفاف**. في البداية ظننت أنني رأيت شجرتين. فنظرت مرة أخرى، ورأيت أنهما كانا متحدين في القمة كشجرة واحدة. فشجرة الحياة هي التي كانت على ضفتي نهر الحياة، وقد انحنت ووصلت إلى المكان الذي كنا واقفين فيه، **وكانت ثمرتها مجيدة. كانت تشبه الذهب المخلوط بالفضة**" (الاختبار المسيحي والتعليم، صفحة 60).

لا يوجد في المقدس السماوي نحاسًا. فالمعادن المستخدمة هي معادن الذهب والفضة فقط. ولذلك فعندما يستعد الناس للدينونة، أي عندما يستعدون للحكم على صفات الله بشكل صحيح من حيث عدله ورحمته، فإنهم حينئذ يكونون أحرارًا لترك الدار الذي يحتوي مبادئ النحاس المتضاربة (المتعارضة)، فالأشياء الموجودة في الدار قد أدت الغرض منها، ولم تعد مطلوبة فيما بعد.

"ثُمَّ أُعْطِيتُ قَصَبَةً شِبْهَ عَصًا، وَوَقَفَ الْمَلاَكُ قَائِلًا لِي: «قُمْ وَقِسْ هَيْكَلَ اللهِ وَالْمَذْبَحَ وَالسَّاجِدِينَ فِيهِ. **وَأَمَّا الدَّارُ الَّتِي هِيَ خَارِجَ الْهَيْكَلِ، فَاطْرَحْهَا خَارِجًا وَلاَ تَقِسْهَا، لأَنَّهَا قَدْ أُعْطِيَتْ لِلأُمَمِ،** وَسَيَدُوسُونَ الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ شَهْرًا" (رؤيا 11: 1 – 2).

ولذلك فهبة الصليب هي فيضٌ مجيدٌ من النور لديه القدرة على تحطيم فكرة الشيطان عن العدالة وإزالة زَغَلَ النحاس من قلوبنا. وتنكشف رحمة الله من خلال مفاهيمنا المنحرفة المشوهة عن العدالة.

والسيد المسيح استخدم المبدأ ذاته في بعض الأمثلة التي قالها. فكان يأخذ أفكار الناس الخاطئة ويستخدمها كي يعرّف الناس على الحق بواسطتها.

"وَمَاتَ الْغَنِيُّ أَيْضًا وَدُفِنَ، فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ فِي الْجَحِيمِ وَهُوَ فِي الْعَذَابِ، وَرَأَى إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَعِيدٍ وَلِعَازَرَ فِي حِضْنِهِ، فَنَادَى وَقَالَ: يَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ، ارْحَمْنِي، وَأَرْسِلْ لِعَازَرَ لِيَبُلَّ طَرَفَ إِصْبِعِهِ بِمَاءٍ وَيُبَرِّدَ لِسَانِي، لأَنِّي مُعَذَّبٌ فِي هذَا اللَّهِيبِ. **في هذا المثل كان المسيح يلاقي الناس في ميدانهم.** إنَّ عقيدة وجود حالة يقظة بين الموت والقيامة كان يعتنقها كثيرون ممن كانوا يستمعون لأقوال المسيح. **وقد عرف المخلّص آراءهم فصاغ المثل لكي يُدخِل في أذهانهم حقائق هامة عن طريق هذه الآراء التي سبق فتصوروها. لقد رفع أمام أنظار سامعيه مرآة فيها يرون أنفسهم في علاقتهم الحقيقية بالله. فقد استعمل الرأي الشائع لكي ينقل الفكرة التي أراد أن يجعلها بارزة فوق غيرها** – ألا وهي أنَّ الإنسان لا يُقدَّر بكثرة أملاكه لأن كل ما يملكه هو له فقط كإعارة من الربّ" (المعلم الأعظم، صفحة 202).

8. الحيَّة النحاسية

سوف نتطرق الآن إلى تناول الحيَّة النحاسية التي رُفِعت على رأيةٍ، وهو موضوع من شأنه أن يضيف بعدًا آخر لدراستنا.

> وَتَكَلَّمَ الشَّعْبُ عَلَى اللهِ وَعَلَى مُوسَى قَائِلِينَ: «لِمَاذَا أَصْعَدْتُمَانَا مِنْ مِصْرَ لِنَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ؟ لأَنَّهُ لاَ خُبْزَ وَلاَ مَاءَ، وَقَدْ كَرِهَتْ أَنْفُسُنَا الطَّعَامَ السَّخِيفَ». فَأَرْسَلَ الرَّبُّ عَلَى الشَّعْبِ الْحَيَّاتِ الْمُحْرِقَةَ، فَلَدَغَتِ الشَّعْبَ، فَمَاتَ قَوْمٌ كَثِيرُونَ مِنْ إِسْرَائِيلَ. فَأَتَى الشَّعْبُ إِلَى مُوسَى وَقَالُوا: «قَدْ أَخْطَأْنَا إِذْ تَكَلَّمْنَا عَلَى الرَّبِّ وَعَلَيْكَ، فَصَلِّ إِلَى الرَّبِّ لِيَرْفَعَ عَنَّا الْحَيَّاتِ». فَصَلَّى مُوسَى لأَجْلِ الشَّعْبِ. **فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اصْنَعْ لَكَ حَيَّةً مُحْرِقَةً وَضَعْهَا عَلَى رَايَةٍ، فَكُلُّ مَنْ لُدِغَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا يَحْيَا». فَصَنَعَ مُوسَى حَيَّةً مِنْ نُحَاسٍ وَوَضَعَهَا عَلَى الرَّايَةِ، فَكَانَ مَتَى لَدَغَتْ حَيَّةٌ إِنْسَانًا وَنَظَرَ إِلَى حَيَّةِ النُّحَاسِ يَحْيَا"** (سفر العدد 21: 5 – 9).

أليس من الغريب أن يطلب الله من موسى أن يصنع صورة للشيء نفسه الذي يلدغ الشعب، وأن يرفع هذه الصورة لينظر إليها الشعب ويُشفوا؟ ليس لدينا الوقت الكافي لتناول كافة التفاصيل في دراستنا هذه لأن هناك الكثير منها. صحيح أن الإنسان قد لُدِغ بواسطة الحيَّة الشيطان وتجرَّع فكرته السامة عن العدالة. ونرى أن الله يلبي هذا المطلب، إذ عُلِّق المسيح على الصليب لتلبية مطالب الحيَّة بخصوص العدالة. ونرى أن الحيَّة وكل أجناد السماء ينحنون ويسجدون في وقار أمام الصليب، وأولئك البشر الذين يختارون النظر إلى الصليب، يمكنهم الآن الوصول إلى رحمة الله، لأنهم أصبحوا أحرارًا ليؤمنوا بها ويصدقوها لأن أفكارهم عن العدالة قد تحققت.

والنقطة الأخرى التي نلاحظها هنا هي أنه بحسب الشريعة، كان على بني إسرائيل تقديم ذبيحة خطية قبل أن يثقوا أن الله سيستجيب لهم. وفي هذه الحالة، فقد تجاوزت الحيَّة النحاسية المرفوعة على الراية نظام تقديم الذبائح الخاص بهم، وقدَّمت لهم الرحمة بالإيمان وحده في التدبير المقدَّم لهم (ألا وهو النظر إلى الحيَّة النحاسية ونيل الشفاء).

> "لم يستطع العبرانيون وهو في محنتهم أن يخلّصوا أنفسهم من تأثير الحيَّات المُحرقة، فالله وحده هو الذي يستطيع أن يخلّص شعبه الخاطئ المتمرد بقوته وسلطانه غير المحدود. ومع ذلك، ففي حكمته لم يرَ من المناسب أن يغفر ذنوبهم دون اختبار توبتهم وإيمانهم. لقد كانوا مطالبين بإظهار توبتهم وندمهم من خلال فعل خاص يقومون به. فكان عليهم أن ينظروا لكي يحيوا. **وبعملهم هذا ونظرهم أظهروا إيمانهم في ابن الله الذي كانت الحيَّة ترمز إليه.** ورفعُ الحيَّة النحاسية كان سيعلّم شعب الربّ درسًا. **لقد أحضروا تقدماتهم أمام الله، وشعروا أنهم صنعوا بذلك كفارةً كافية وكبيرة عن خطاياهم. ولم يعتمدوا، بالإيمان، على استحقاقات الفادي الذي سيأتي والذي كانت ترمز عطاياهم وتقدماتهم إليه. والحيّة، التي صُنِعت من النحاس لتشبه الحيَّة المُحرقة**، كان لابد أن توضع في وسط المحلة وتُرفَع على راية. **وكان الغرض من ذلك هو تعريف شعب الله أن تقدماتهم لم يكن فيها ميزة خلاصية أو قوة خاصة من نفسها أكثر من الحيَّة النحاسية، وهذا من شأنه أن يوقظ في أذهانهم ذبيحة ابن الله المستقبلية. كان ينبغي عليهم أيضًا أن يُحضِروا تقدماتهم بإرادة خاضعة وقلوب نادمة وتائبة، وهكذا كانوا يُظهِرون**

إيمانهم في ذبيحة ابن الله الاستحقاقية. لم يكن أحد مضطرًا أو مُجبرًا أن ينظر إلى الحيَّة النحاسية. فالجميع كانوا يستطيعون أن ينظروا ويحيوا، أو ألا يصدقوا التدبير البسيط الذي صنعه الله، فيرفضون النظر فيموتون" (روح النبوة، المجلد رقم 1، صفحة 316 و317).

وبنفس الطريقة التي رُفِعت بها الحيَّة على الراية، رُفِع أيضًا المسيح على الصليب.

"وَكَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ هكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الإِنْسَانِ" (يوحنا 3: 14).

لم تكن الحيَّة تشير إلى ابن الله إلا لأن المسيح كان يُرضي مطالب العدالة الشيطانية التي استرقت العقل البشري. فكان نور الصليب عظيمًا جدًا لدرجة أنه لم يخترق عقل الإنسان المظلم فحسب، بل حرَّر أيضًا ملائكة السماء من أي تعاطف مع الشيطان. مجدًا للآب على عطية ابنه على الصليب! فبموت الصليب هزم المسيح من كان له سلطان الموت بواسطة عدالته المزيفة، وأوجد الحياة والخلود بواسطة الإنجيل.

وكشاهد أخير على هذا الفهم للصليب، نضيف الفقرة التالية نظرًا لأهميتها الكبيرة في مساعدتنا على فهم بعض القصص الواردة في العهد القديم ومعناها الحقيقي والتي سوف نتناولها لاحقًا:

"فِي هذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللهَ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا. **هذه هي الكلمات التي يعبّر بها عما في ذهنه تجاه الشعب الفاسد المُشرِك (العابد للأوثان):** "كيف أتخلى عنك يا أفرايم؟ وكيف أسلمك إلى العدو يا إسرائيل؟ كيف أعاملك كما عاملت أدمة؟ وكيف أجري عليك ما أجريته على صبوئيم؟ إن قلبي يتلوى أسى في داخلي وتضرم في مراحمي". أيتخلى عن الشعب الذي وُضِعت من أجلهم هذه التدابي؟ وهل يتخلَّى أيضًا عن ابنه الوحيد الذي هو بهاء مجده ورسم جوهره؟ **إن الله يسمح أن يُسلّم ابنه من أجل خطايانا وتعدياتنا. ويأخذ (يظهر) بنفسه دور الحَكَمْ تجاه حامل الخطية، متجردًا بذلك من صفات المحبة التي للأب"** (شهادات للخدام، صفحة 245).

هذا الفكر من المستحيل كشف معناه دون فهم مطالب العدالة المزيفة. فكيف يمكن لله أن يأخذ أو يظهر بدور الحَكَم وصفاته تجاه حامل الخطية؟ فمن وجهة نظرنا البشرية المظلمة، كي يتسنى لله أن يصل إلينا حيثما نوجد، فلابد أن يرضي ويشبع فهمنا عن العدالة. فمن المستحيل تمامًا أن يتخلى الله عن صفات الرأفة والرحمة أو أن يتجرَّد من كونه أب مُحب ورقيق. كلمة السر هنا هي "يأخذ" أو "يظهر". فالدور الذي يلعبه الله يجعله يظهر كحَكم، ويجعله أيضًا يتجرَّد من صفات الرأفة والرحمة التي للأب. وهذا التغيير الذي يحدث في الظلمة التي تحيق بالصليب، حيث يحجب الله وجهه، هو تحقيق وتلبية لمطالب شِركنا به. أو بمعنى آخر، فالآب بسبب شِركنا وارتدادنا عنه يصبح إلهًا غيورًا.

9. إلهٌ غيورٌ

تتضمن الوصية الثانية التسلسل الذي يجري الله بواسطته العدالة من خلال تفكيرنا النحاسي.

> "لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ، **لأَنِّي** (علاقة سببية – فما ورد ذكره هو سبب ما سيحدث لاحقًا) أَنَا (في الترجمة الإنجليزية لهذه الآية، توجد هنا أيضًا علاقة سببية ويمكن أن تُقرأ الآية بإضافة كلمة "يصبح" أو "يتحوَّل إلى") الرَّبَّ إِلهَكَ إِلهٌ **غَيُورٌ**، **أَفْتَقِدُ** (أراقب، أعتني بـ، أدعو لتذكر) ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابعِ مِنْ **مُبْغِضِيَّ**" (خروج 20: 5).

عندما سلَّم آدم نفسه للشيطان، ارتكب خطية الشِرك. وهذا الشِرك جعله ينظر إلى الله كمن يرغب في قتله بسبب معصيته. وقال الشيطان لآدم أن الله لن يرحمه أو يشفق عليه، وعندما قَبِل آدم الفكرة التي أخبره الشيطان إياها، بدا الله وكأنه غيور وغضوب ومحب للانتقام.

لاحظ ما قاله الربّ يسوع في مثل الأمناء:

> "وَأَمَّا أَهْلُ مَدِينَتِهِ فَكَانُوا **يُبْغِضُونَهُ**، فَأَرْسَلُوا وَرَاءَهُ سَفَارَةً قَائِلِينَ: لاَ نُرِيدُ أَنَّ هذَا يَمْلِكُ عَلَيْنَا" (لوقا 19: 14).

ما الذي قاله العبد الأخير الذي أخذ المنا (الوزنة) للسيّد؟

> "ثُمَّ جَاءَ آخَرُ قَائِلًا: يَا سَيِّدُ، هُوَذَا مَنَاكَ الَّذِي كَانَ عِنْدِي مَوْضُوعًا فِي مِنْدِيل، لأَنِّي كُنْتُ أَخَافُ مِنْكَ، إِذْ أَنْتَ إِنْسَانٌ صَارِمٌ، تَأْخُذُ مَا لَمْ تَضَعْ وَتَحْصُدُ مَا لَمْ تَزْرَعْ" (لوقا 19: 20 و21).

يخبرنا الكتاب المقدس أن من يُبغِضون الله يحبون الموت.

> "وَمَنْ يُخْطِئُ عَنِّي يَضُرُّ نَفْسَهُ. **كُلُّ مُبْغِضِيَّ يُحِبُّونَ الْمَوْتَ**" (أمثال 8: 36).

> "بِلاَ فَهْمٍ وَلاَ عَهْدٍ وَلاَ حُنُوٍّ وَلاَ رِضىً وَلاَ رَحْمَةٍ. **الَّذِينَ إِذْ عَرَفُوا (أدركوا) حُكْمَ اللهِ أَنَّ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ مِثْلَ هذِهِ يَسْتَوْجِبُونَ الْمَوْتَ**، لاَ يَفْعَلُونَهَا فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا يُسَرُّونَ بِالَّذِينَ يَعْمَلُونَ" (رومية 1: 31 – 32).

فمَنْ يُبغِضون الله وليس لديهم معرفة يدركون أو يفتكرون أن دينونة الله تعتبرهم مستوجبين الموت. ولكي يؤمن أولئك المنغمسين في شِركهم أن بإمكانهم نيل العفو والغفران، فكان ينبغي أن يحل العقاب على الأثمة المعتدين قبل أن يصدقوا أنه بإمكانهم نيل الغفران. ومن أجل تلبية هذه التوقعات المطلوبة من الإنسان، يخبرنا الله كيف يُجري (يُنفِّذ) القصاص الدينونة على الذين يبغضونه. فهو يفتقد ذنوبهم في الجيل الثالث والرابع.

وهكذا فعندما يجلب الناس عواقب اختياراتهم على أنفسهم، يسمح الله لنفسه أن يُرَى على أنه يوقع عليهم العقاب. ويأخذ أو يظهر بصفات الحكم تجاه الخاطئ، مُجرِدًا نفسه من صفات الآب المُحِبة والعطوفة.

يُصوَّر الله، في قوى الطبيعة المُهلِكة بعناصرها الطبيعية ونزاعات البشر السياسية، على أنه إلهٌ غيورٌ يجلب المصائب والنكبات على البشر. ولكن لماذا يسمح الله بهذا؟ حتى عندما يهلك فاعلو الشر بين الشعب، يشعرون بأن العدالة قد تمت وتحققت. فصنع الله شكلاً من أشكال الكفارة حتى يتخلّص البشر من شعورهم الجماعي بالذنب لفترة من الوقت. فتخبرنا أسفار الوحي المقدس كلمات الحكمة العميقة التالية:

"اَلْعَصَا وَالتَّوْبِيخُ يُعْطِيَانِ حِكْمَةً، وَالصَّبِيُّ الْمُطْلَقُ إِلَى هَوَاهُ يُخْجِلُ أُمَّهُ" (أمثال 29: 15).

"مَنْ يَمْنَعُ عَصَاهُ يَمْقُتِ ابْنَهُ، وَمَنْ أَحَبَّهُ يَطْلُبُ لَهُ التَّأْدِيبَ" (أمثال 13: 24).

"والأم قد تسأل: "ألا أعاقب ابني أبدًا؟" قد يكون الضرب ضروريًا عندما تفشل الوسائل والمحاولات الأخرى، ومع ذلك فلا ينبغي لها استخدام العصا إذا كان من الممكن تلافي ذلك. ولكن عندما تفشل الطرق الأخف والإجراءات الأقل صرامة عن تحقيق الهدف منها، فينبغي، بمحبة، تطبيق العقوبة التي تعيد الطفل إلى رشده وصوابه. **فتأديب واحد كهذا يكفي في كثير من الأحيان لمدى الحياة** حتى يدرك الطفل أنه ليس هو المتحكم في زمام الأمور" (إرشادات تربوية، صفحة 250).

وأحيانًا، يشعر بعض الأطفال أن الطريقة الوحيدة لإزالة شعورهم بالذنب هي بتلقيهم ضربة من أحد الوالدين. ذلك لأن الطفل يشعر بأن خطئه قد عوقب وبالتالي يشعر بالتحرر من الذنب. ولكن ينبغي ألا يُطبَّق ذلك بعنف أو بغضبٍ أو بصياحٍ وصوتٍ عالٍ.

ينبغي فهم الوصية الثانية، فالصيغة التي تحتوي عليها تكشف لنا عن صفات الله بشأن رحمته وعدله. وكما ذكرنا سابقًا، فشريعة الله هي صورة طبق الأصل من صفاته. فأي فهم بخصوص عدالة الله لا يتوافق مع هذه الوصية ليس إعلانًا حقيقيًا عن شخصيته وصفاته.

عندما يتحدث الكتاب المقدس عن غيرة الله، فدائمًا ما يكون ذلك مرتبطًا بأناس ارتكبوا خطية الشِرك أو عبادة آلهة أخرى.

"فَإِنَّكَ <u>لاَ تَسْجُدُ لإِلهٍ آخَرَ</u>، لأَنَّ الرَّبَّ **اسْمُهُ غَيُورٌ. إِلهٌ غَيُورٌ هُوَ**" (خروج 34: 14).

"الرَّبَّ إِلهَكَ تَتَّقِي، وَإِيَّاهُ تَعْبُدُ، وَبِاسْمِهِ تَحْلِفُ. <u>لاَ تَسِيرُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى</u> مِنْ آلِهَةِ الأُمَمِ الَّتِي حَوْلَكُمْ، **لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكُمْ إِلهٌ غَيُورٌ فِي وَسَطِكُمْ، لِئَلاَّ يَحْمَى غَضَبُ الرَّبِّ إِلهِكُمْ عَلَيْكُمْ فَيُبِيدَكُمْ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ**" (تثنية 6: 13 – 15).

"**<u>أَغَارُوهُ بِالأَجَانِبِ (أثاروا غيرته بآلهتهم الغريبة)</u>**، وَأَغَاظُوهُ بِالأَرْجَاسِ. **ذَبَحُوا لأَوْثَانٍ لَيْسَتِ اللهَ. لآلِهَةٍ لَمْ يَعْرِفُوهَا**، أَحْدَاثٍ قَدْ جَاءَتْ مِنْ قَرِيبٍ لَمْ يَرْهَبْهَا آبَاؤُكُمْ. الصَّخْرُ الَّذِي وَلَدَكَ تَرَكْتَهُ، وَنَسِيتَ اللهَ الَّذِي أَبْدَأَكَ. فَرَأَى الرَّبُّ وَرَذَلَ مِنَ الْغَيْظِ بَنِيهِ وَبَنَاتِهِ. **وَقَالَ: <u>أَحْجُبُ وَجْهِي عَنْهُمْ</u>، وَأَنْظُرُ مَاذَا تَكُونُ آخِرَتُهُمْ**. إِنَّهُمْ جِيلٌ مُتَقَلِّبٌ، أَوْلاَدٌ لاَ أَمَانَةَ فِيهِمْ. **هُمْ أَغَارُونِي (هيّجوا غيرتي بعبادة أوثانهم)، بِمَا لَيْسَ**

إلهًا، أَغَاظُونِي بِأَبَاطِيلِهِمْ. فَأَنَا أُغِيرُهُمْ بِمَا لَيْسَ شَعْبًا، بِأُمَّةٍ غَبِيَّةٍ أُغِيظُهُمْ" (تثنية 32: 16 – 21).

وهكذا نرى أن غيرة الله تحدث بسبب شِرك الإنسان وعبادته للأوثان. والشِرك يعني دائمًا فقدان الإيمان في الرحمة، لأن الله الإله الحقيقي هو من لديه الرحمة. أما الشيطان والإنسان الطبيعي وعدلهما فلا يوجد لديهما شيئًا.

"عندما تفتح الكتاب المقدس، فإن كنت تتعدى على ناموس (شخصية) الله، **فسيبدو لك أن كل إنذارات الغضب هي ضدك.** وعندما تقوم في الاجتماع لتشهد، فشهادتك ستكون مليئة بالشك والظلام وعدم الإيمان، وسوف تسيء تمثيل أبيك السماوي، **إذ أنها ستصوره على أنه غير راغب في العفو عنك ومسامحتك عندما تريد العودة إليه،** وبذلك فإنك سوف تهين فاديك أمام جماعة المؤمنين" (مجلة الريفيو آند هيرالد، 19 مارس سنة 1889، الفقرة رقم 7).

في أي وقت نرى فيه تجلي غيرة الله وحلول أحكامه، فهذا يكون كرد فعل لأفكار الإنسان عن العدل والعدالة. ولكننا في كل مرة نجد أن الصيغة الواردة في خروج 20: 5 تُتَّبَع.

سوف نعود الآن إلى تناول قصة شاول لنرى كيف أن عدالة الله تتبع النموذج الوارد في الوصية الثانية. ولكن قبل أن نفعل ذلك يتعيَّن علينا أن نفحص بعض الفقرات والعبارات التي ترينا كيف أن الله يفتقد أو يراقب الإثم على فاعلي الشر.

"**الشَّرُّ يُمِيتُ الشِّرِّيرَ**، وَمُبْغِضُو الصِّدِّيقِ يُعَاقَبُونَ" (مزمور 34: 21)..

إن الشر هو الذي يميت الشرير، وليس الله. فالله يأخذ أو يظهر بصفات الحَكَمْ تجاه الشرير، مُجرِدًا نفسه من صفات الآب المُحِبة والعطوفة، إذ يحجب وجهه في الظلام بينما هم يواجهون نتيجة أعمالهم وعواقب أفعالهم. وهو عذابٌ يختبره الآب والابن إذ يسمحان أن يحدث ذلك، ولكن يتحتَّم عليهما أن يحترما اختيار أولئك الذين يرفضوهما، فلا يمكنهما فرض الطاعة على أحد.

"مَعْرُوفٌ هُوَ الرَّبُّ. قَضَاءً أَمْضَى. **الشِّرِّيرُ يَعْلَقُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ**" (مزمور 9: 16). والترجمة التفسيرية لهذه الآية تقول: "**قضى أن يقع الشرير في شرك أعماله**".

"فَسَكَبْتُ سَخَطِي عَلَيْهِمْ. أَفْنَيْتُهُمْ بِنَارِ غَضَبِي. **جَلَبْتُ طَرِيقَهُمْ عَلَى رُؤُوسِهِمْ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ**" (حزقيال 22: 31).

"وَأَنَا أَيْضًا عَيْنِي لاَ تَشْفُقُ وَلاَ أَعْفُو. **أَجْلِبُ طَرِيقَهُمْ عَلَى رُؤُوسِهِمْ**" (حزقيال 9: 10).

"يَرْجعُ تَعَبُهُ عَلَى رَأْسِهِ، **وَعَلَى هَامَتِهِ يَهْبِطُ ظُلْمُهُ**" (مزمور 7: 16). والترجمة التفسيرية لهذه الآية تقول: "شره يرتد على رأسه، **وظلمه يهبط على هامته**".

10. الأمر بقتل عماليق والسياق المرتبط بذلك

نلاحظ أولاً أنه عندما طلب إسرائيل أن يُعطى لهم ملكًا ليقضي لهم، كان ذلك نتيجة شِركهم وعبادتهم آلهة أخرى. فنقرأ:

> "لقد تبنَّى الإسرائيليون كثيرًا من عادات جيرانهم الوثنيين، وهكذا ضحوا، إلى درجة كبيرة، بميزتهم المقدسة الخاصة. وأصبحت عبادتهم أقل غيرة وإخلاصًا. **وبالتدريج أُنتزع من قلوبهم توقير الله وما عادوا يقيمون وزنًا لشرف كونهم شعبه المختار.** وإذ اجتذبت اهتمامهم مظاهر أبهة الملوك الوثنيين وتفاخرهم ضجر أولئك الإسرائيليون من بساطتهم، **ورغبوا في التحرر من حكم ملكهم الإلهي. وإذ ابتعدوا عن الربّ، نشأت بين الأسباط الغيرة والحسد، وازدادت المنازعات والفتن الداخلية، حتى تم التصور عبثًا أن تنصيب ملكٍ هو الطريقة الوحيدة التي يمكن للأسباط من خلالها استعادة الوحدة والوفاق والانسجام"** (مجلة علامات الأزمنة، 13 يوليو سنة 1882، الفقرة رقم 3).

لقد كان شاول كملك حزينًا من أجل الرب لأن شاول كان يمثّل عصيان إسرائيل في اختيار ملك عوضًا عن أن يملك الله عليهم، ولذلك فإن حياة شاول بأكملها تقع في سياق رفض إسرائيل لله ورغبتهم في التشبه بالعالم. وهذا الشِرك أو عبادة الآلهة الأخرى هو ما يجعل البند الخاص بالغيرة الذي ورد ذكره في خروج 20: 5 ساري المفعول، إذ تؤكد لنا هذه الآية أن الربّ سوف يفتقد الأحداث ويراقبها لكي يجلب طريقهم على رؤوسهم. حينئذ يُشبَع مفهومهم عن العدالة، ويحصلون على الفرصة للتوبة ونيل الرحمة.

والشيء الثاني هو أن طلب ملك كان بمثابة صفعة قوية على وجه صموئيل.

> "لقد حَرِصَ مقدمو العريضة على ألا يقدموا شكوى في حق صموئيل واعترفوا باستقامته وحسن إدارته، لكنهم أجمعوا بإصرارٍ على أن صموئيل سيصبح شيخًا قريبًا وسيعجز عن خدمتهم، فأبناؤه أثبتوا صحة كونهم غير جديرين بالثقة. ولكن بالرغم من كل هذه التفسيرات وعبارات الاحترام، **فقد نظر ذلك النبي الشيخ إلى ذلك الطلب على أنه انتقاد لشخصه ومسعى مباشر لعزله. ومع ذلك لم يظهر شعوره ولم ينطق بكلمة توبيخ.** فلو فعل ذلك، لربما تسبب تبادل الاتهامات المُرَّة في ضررٍ كبيرٍ" (مجلة علامات الأزمنة، 13 يوليو سنة 1882، الفقرة رقم 7).

لقد خدم صموئيل الشعب بأمانة وإخلاص طوال أيام حياته، وأحدث إصلاحًا عظيمًا للأمة. فُجرِح بسبب جحودهم ونكرانهم الجميل. وبحكمةٍ، لم يُظهِر شعوره، لكن بذرة الألم قد انغرست في قلبه.

> "فقال الربُّ لصموئيل: «اسْمَعْ لِصَوْتِ الشَّعْبِ فِي كُلِّ مَا يَقُولُونَ لَكَ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَرْفُضُوكَ أَنْتَ بَلْ إِيَّايَ رَفَضُوا حَتَّى لاَ أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ. حَسَبَ كُلِّ أَعْمَالِهِمِ الَّتِي عَمِلُوا مِنْ يَوْمِ أَصْعَدْتُهُمْ مِنْ مِصْرَ إِلَى هذَا الْيَوْمِ وَتَرَكُونِي وَعَبَدُوا آلِهَةً أُخْرَى، هكَذَا هُمْ عَامِلُونَ بِكَ أَيْضًا». **وقد توبخ النبي لكونه حزن بسبب تصرف الشعب حياله كفرد. إنهم لم يبدوا استخفافًا به بل بسلطان الله** الذي قد أقام الحكام لشعبه. فأولئك الذين يحتقرون خادم الله الأمين ويرفضونه لا يوجهون احتقارهم إلى ذلك الخادم

وحده بل إلى السيَّد الذي قد أرسله. إن كلام الله وتوبيخاته ومشورته هي التي أُحتِقِرت، وسلطانه هو الذي قد رُفِض" (الآباء والأنبياء، صفحة 544).

بعد الكارثة التي حدثت في الجلجال، عندما تولى شاول القيام بعمل الكاهن وقدَّم ذبيحةٍ كوسيلة لرفع الروح المعنوية للشعب في مواجهة الحرب، فقد تدهورت الأمور بسرعة كبيرة.

"لم يصمد شاول أمام الاختبار. لقد وعده الله بأنه سيكون معه إن أطاعه هو. كان يتوجب عليه الثقة في هذا الوعد، وأن ينتظر بصبرٍ التوجيه والإرشاد الإلهي. ولكنه إذ كان يظن أنه ينبغي القيام بشيء فوري لرفع الروح المعنوية للشعب وإلهامهم بالشجاعة، أمر بأن تُصعَد الذبيحة، وبكل جرأة سَدَّ مَسدّ الكاهن، إذ قدَّم بنفسه الذبيحة على المذبح. لقد كان عمله هذا هو بمثابة انتهاك صارخ للأمر الإلهي أن أولئك الموكل إليهم خدمة تقديم الذبيحة هم فقط مَنْ تم تكريسهم للقيام بهذا العمل المقدس. **وعلاوة على ذلك، فإن الطبيعة العلنية للعمل الذي قام به شاول، فضلاً عن المركز العالي الذي كان يشغله، أضافت إلى حد كبير إلى تأثير مثاله الماحق الخبيث، مما جعل من العقوبة أمرًا ضروريًا لا غنى عنه"** (مجلة علامات الأزمنة، 3 أغسطس سنة 1882، الفقرة رقم 10).

صموئيل يوبخ الملك العنيد:

"ردًا على سؤال صموئيل الموجَّه إليه: «مَاذَا فَعَلْتَ؟» حاول شاول تبرير فعلته والمسار الذي إتخذه، وذلك بتصويره للرعب الواقع على الشعب والخطر من هجوم مباغت من قِبَل الفلسطينيين. ولكن النبي رد عليه بهذا الرد الصارم الرزين: «قَدِ انْحَمَقْتَ! لَمْ تَحْفَظْ وَصِيَّةَ الرَّبِّ إِلهِكَ الَّتِي أَمَرَكَ بِهَا، لأَنَّهُ الآنَ كَانَ الرَّبُّ قَدْ ثَبَّتَ مَمْلَكَتَكَ عَلَى إِسْرَائِيلَ إِلَى الأَبَدِ. وَأَمَّا الآنَ فَمَمْلَكَتُكَ لاَ تَقُومُ. قَدِ انْتَخَبَ الرَّبُّ لِنَفْسِهِ رَجُلًا حَسَبَ قَلْبِهِ، وَأَمَرَهُ الرَّبُّ أَنْ يَتَرَأَّسَ عَلَى شَعْبِهِ. لأَنَّكَ لَمْ تَحْفَظْ مَا أَمَرَكَ بِهِ الرَّبُّ».‬" (مجلة علامات الأزمنة، 3 أغسطس سنة 1882، الفقرة رقم 11-12).

يستمر شاول في عناده ويرفض التوبة ويواصل تبرير موقفه.

"لقد أُعطى الروح القدس لشاول ليغير عقله ويلين قلبه، كما أنه حصل على تعاليم وسمع توبيخات من نبي الله، ومع ذلك فكم كان عناده عظيمًا؟! **إن تاريخ أول ملوك إسرائيل يبسط أمامنا مثالاً مُحزنًا لقوة العادات المبكرة الخاطئة. إن شاول في شبابه لم يحب الله ولا إتقاه، وتلك الروح المتهورة التي لم تتدرب في وقت مبكر على الخضوع كانت أبدًا مستعدة للتمرد على سلطان الله"** (الآباء والأنبياء، صفحة 559).

لم يحب شاول الله ولم يخافه. ولم يتعلم أبدًا كيف يثق فيه ويطيعه. ولذلك لم يتمكن من تقدير صفاته بالشكل الصحيح. حاول الربُّ أن ينير بصيرة شاول وأن يجتذبه إلى الحق، ولكنه للأسف استمر في إصراره وعناده إلى النهاية.

وبعد ذلك بفترة وجيزة، بارك الله يوناثان إذ ساعده أن يُحرِز انتصارًا عظيمًا على الفلسطينيين.

"وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ قَالَ يُونَاثَانُ بْنُ شَاوُلَ لِلْغُلاَمِ حَامِلِ سِلاَحِهِ: «تَعَالَ نَعْبُرْ إِلَى حَفَظَةِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ الَّذِينَ فِي ذلِكَ الْعَبْرِ». وَلَمْ يُخْبِرْ أَبَاهُ" (صموئيل الأول 14: 1).

"فَصَعِدَ يُونَاثَانُ عَلَى يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَحَامِلُ سِلاَحِهِ وَرَاءَهُ. فَسَقَطُوا أَمَامَ يُونَاثَانَ، وَكَانَ حَامِلُ سِلاَحِهِ يُقَتِّلُ وَرَاءَهُ. وَكَانَتِ الضَّرْبَةُ الأُولَى الَّتِي ضَرَبَهَا يُونَاثَانُ وَحَامِلُ سِلاَحِهِ نَحْوَ عِشْرِينَ رَجُلًا فِي نَحْوِ نِصْفِ تَلَمِ فَدَّانِ أَرْضٍ. وَكَانَ ارْتِعَادٌ فِي الْمَحَلَّةِ، فِي الْحَقْلِ، وَفِي جَمِيعِ الشَّعْبِ. الصَّفُّ وَالْمُخَرِّبُونَ ارْتَعَدُوا هُمْ أَيْضًا، وَرَجَفَتِ الأَرْضُ فَكَانَ ارْتِعَادٌ عَظِيمٌ. فَنَظَرَ الْمُرَاقِبُونَ لِشَاوُلَ فِي جِبْعَةِ بَنْيَامِينَ، وَإِذَا بِالْجُمْهُورِ قَدْ ذَابَ وَذَهَبُوا مُتَبَدِّدِينَ" (صموئيل الأول 14: 13 – 16).

بأية وسيلة أو واسطة بارك لله يوناثان؟

"**كان ملائكة السماء يحمون يوناثان وتابعه** وقد حاربوا معهما، فسقط الفلسطينيون أمامهما. وقد ارتجت الأرض كما لو أن جمهورًا غفيرًا معهم فرسان ومركبات يقترب منهم، فرأى يوناثان دلائل مساعدة الله له، وحتى الفلسطينيون عرفوا أن الله يعمل خلاص إسرائيل" (الآباء والأنبياء، صفحة 560).

كان الملائكة يحمون يوناثان وحامل سلاحه، لكن الملائكة لم تقتل أحدًا من جنود العدو لأننا نقرأ:

"**تُرسِل الملائكة من الديار السماوية، ليس لتقتل أو تُهلك، وإنما لتحمي وتحفظ النفوس المعرَّضة للخطر**، لتنقذ الهالكين، وتُعيد الضالين إلى حظيرة الخراف" (مجلة الريفيو آند هيرالد، 19 مايو سنة 1906).

"**لا تأتي الملائكة إلى الأرض للإدانة والهلاك، للحكم وطلب الولاء، بل هم رسل رحمة يتعاونون مع رئيس جند الربّ**، ويتعاونون مع البشر الذين يخرجون ويبحثون عن الخراف الضالة لإنقاذها. يأمر الله الملائكة أن تخيِّم حول خائفيه ومحبيه" (مجلة علامات الأزمنة، 20 نوفمبر سنة 1893، الفقرة رقم 3).

لقد اعتنت الملائكة بيوناثان وحامل سلاحه لأن حياتهما كانت معرضة للخطر. والآن بعد أن علم شاول أن مملكته مهددة لأن صموئيل أخبره إنها ستُعطى لآخر، بدأ يشعر بالقلق البالغ لأن إسرائيل كانت تحرز انتصارات لا يعلم شيئًا عنها! وشعر بغيرة شديدة لأجل شرفه وكرامته، فكان الله يفتقد غيرته كمعاقبة لإسرائيل. وهذا كله جزء من غيرة الله التي تتجلَّى عندما يختار الناس طريق الشِرك والانحراف عن عبادته.

"وَضَنُكَ (أُعيا) رِجَالُ إِسْرَائِيلَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، لأَنَّ شَاوُلَ حَلَّفَ الشَّعْبَ قَائِلًا: «مَلْعُونٌ الرَّجُلُ الَّذِي يَأْكُلُ خُبْزًا إِلَى الْمَسَاءِ حَتَّى أَنْتَقِمَ مِنْ أَعْدَائِي». فَلَمْ يَذُقْ جَمِيعُ الشَّعْبِ خُبْزًا. وَجَاءَ كُلُّ الشَّعْبِ إِلَى الْوَعْرِ وَكَانَ عَسَلٌ عَلَى وَجْهِ الْحَقْلِ. وَلَمَّا دَخَلَ الشَّعْبُ الْوَعْرَ إِذَا بِالْعَسَلِ يَقْطُرُ وَلَمْ يَمُدَّ أَحَدٌ يَدَهُ إِلَى فِيهِ، لأَنَّ الشَّعْبَ خَافَ مِنَ الْقَسَمِ" (صموئيل الأول 14: 24 – 26).

لم يسمع يوناثان القَسَم فتناول جزءًا من العسل للاستجمام. وبعد ذلك عندما سأل شاول الربّ إذا كان يجب عليهم أن يواصلوا الحرب ضد الفلسطينيين، لكنه لم يتلق جوابًا من الربّ. فبدأ يبحث أين كانت الخطية توجد في المحلة. وسمح الربُّ للقرعة أن تقع على يوناثان وذلك وفقًا لنظام العدالة الذي كان شاول يتمسك به ويسير عليه.

"فَقَالَ شَاوُلُ: «أَلْقُوا بَيْنِي وَبَيْنَ يُونَاثَانَ ابْنِي. فَأُخِذَ يُونَاثَانُ». فَقَالَ شَاوُلُ لِيُونَاثَانَ: «أَخْبِرْنِي مَاذَا فَعَلْتَ». فَأَخْبَرَهُ يُونَاثَانُ وَقَالَ: «ذُقْتُ ذَوْقًا بِطَرَفِ النُّشَّابَةِ الَّتِي بِيَدِي قَلِيلَ عَسَل. فَهأَنَذَا أَمُوتُ». فَقَالَ شَاوُلُ: «هكَذَا يَفْعَلُ اللهُ وَهكَذَا يَزِيدُ إِنَّكَ مَوْتًا تَمُوتُ يَا يُونَاثَانُ»" (صموئيل الأول 14: 42 – 44).

وكآدم الذي ألقى باللوم على امرأته، كان شاول مستعدًا أن يضحي بابنه الذي كان من لحمه ودمه من أجل التكفير عن معضلة الخطية في المحلة. فبدلاً من قبول المسؤولية والتوبة، كان يفضِّل تقديم ابنه كذبيحة. وافتقاد الإثم الناجم عن رغبة إسرائيل في أن يحكمهم ملكًا بدأ يظهر بالفعل. وقلق شاول وانعدام ثقته وطمأنينته في منصبه كملك كان يعني أن أي شيء أو أي شخص يساعد على تقدُّم المملكة وإسعاد الشعب كان يشكل تهديدًا.

"ولولا أن رجال إسرائيل توسطوا لإنقاذ حياة يوناثان لكان منقذهم قد هلك بناءً على قرار الملك. **ما أشد الهواجس والشكوك التي بها إتبع الشعب قيادة شاول بعد ذلك! وما كان أمَرَّ الفكر بأنه قد أُجلِس على العرش بناءً على طلبهم هم!** إن الربّ يحتمل عصيان الناس طويلاً ويقدّم للجميع فرصة فيها يرون خطاياهم ويتركونها. ولكن في حين يبدو أنه ينجح أولئك الذين يستخفون بإرادته ويحتقرون إنذاراته، فإنه في وقته المعيَّن لا بد من أن يُظهِر جهالتهم" (الآباء والأنبياء، صفحة 562).

"**لم يحس شاول غير أن ابنه قد فُضِّل عليه بواسطة الشعب وبواسطة الربّ، وأن نجاة يوناثان كانت توبيخًا قاسيًا لتهور الملك،** فخالجه إحساس داخلي بأن لعناته سترتد على رأسه. ولم يعد يواصل الحرب ضد الفلسطينيين بعد ذلك، بل رجع إلى بيته عابسًا ساخطًا" (مجلة علامات الأزمنة، 17 أغسطس سنة 1882، الفقرة رقم 11).

إن الإنسان المستعد أن يضحي بابنه لأجل خاطر كرامته المجروحة لا بد وأنه تحت تأثير الشيطان. وينطبق هذا بشكل تام على وعد الرب القائل أنه سيفتقد ذنوب البشر في البشر وذلك بمراقبة الأحداث حتى يقتل الشر الأشرار.

والآن وبعد أن علم شاول أن المملكة ستُنتزع منه، ونظرًا لأن ابنه كان يستحسن ذلك أكثر منه، وبسبب مقاومة الشعب لسلطانه وأمره بأن يوناثان ينبغي أن يُقتَل، حاول شاول استرجاع سمعته وذلك بالدخول في حرب مع القبائل المجاورة.

"وَأَخَذَ شَاوُلُ الْمُلْكَ عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَحَارَبَ جَمِيعَ أَعْدَائِهِ حَوَالَيْهِ: مُوآبَ وَبَنِي عَمُّونَ وَأَدُومَ وَمُلُوكَ صُوبَةَ وَالْفِلِسْطِينِيِّينَ. وَحَيْثُمَا تَوَجَّهَ غَلَبَ. **وَفَعَلَ بِبَأْسٍ (خاض معارك قاسية) وَضَرَبَ عَمَالِيقَ،** وَأَنْقَذَ إِسْرَائِيلَ مِنْ يَدِ نَاهِبِيهِ" (صموئيل الأول 14: 47 و48).

فخطية شاول المتمثلة في الأنانية والمصلحة الذاتية والغيرة على عرشه ستُفتَقد الآن على الأمم والقبائل المجاورة كعقاب لشِركهم وعصيانهم وعبادتهم آلهة أخرى. وهذا يتفق بدقة شديدة مع ما جاء في خروج 20: 5 التي تقول أن الله يفتقد ذنوب الآباء في الأبناء من مبغضيه.

11. نبوة الربِّ ووصيته بخصوص عماليق

نلاحظ الآن بعناية أن شاول قد بدأ بالفعل في خوض حروب ومعارك ضد عماليق قبل أن يعطي الله الأمر في صموئيل الأول 15: 1 – 3. فتقول الترجمة التفسيرية لهذه الآيات ما يلي:

> "هذا ما يقوله رب الجنود: إني مزمع أن أعاقب عماليق جزاء ما ارتكبه في حق الإسرائيليين حين تصدى لهم في الطريق عند خروجهم من مصر. **فاذهب الآن وهاجم عماليق واقضِ على كل ماله. لا تعفُ عن أحد منهم بل اقتلهم جميعًا رجالاً ونساءً، وأطفالاً ورضعًا، بقرًا وغنمًا، جمالاً وحميرًا**" (صموئيل الأول 15: 2 – 3).

تخبرنا الآيات الواردة في الأصحاح الرابع عشر أن صموئيل كان ينوي بالفعل ضرب عماليق والقضاء عليهم قبل أن يعطي له الرب الأمر بفعل ذلك. والأحداث الواردة في ذلك الأصحاح تؤكد على ذلك. فهذه الرغبة (النية) كانت توجد بالفعل في قلبه. فأرسل له الربُّ رسالة من خلال نبيه صموئيل بنفس الطريقة التي تنبأ بها نوح عن مستقبل أبنائه.

> **"إن نبوة نوح لم تكن إخطارًا استبداديًا دافعه الغضب أو إعلانًا للرضى، فهي لم تقرر أخلاق أبناء نوح ومصيرهم، ولكنها فقط أبانت النهاية التي سينتهي إليها الطريق الذي اختاره كل منهم بمفرده، والأخلاق التي نمَّوها. كانت تلك النبوة تعبيرًا عن قصد الله لهم ونسلهم بالنظر إلى أخلاقهم وتصرفاتهم"** (الآباء والأنبياء، صفحة 97).

قال الكتاب المقدس عن كنعان أنه "عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لإِخْوَتِهِ". في فكر مملكة الشيطان تعتبر هذه اللعنة لعنة مميتة، ولكنه لو تاب وتواضع، لصار مثل المسيح خادمًا للجميع.

> "فَجَلَسَ وَنَادَى الاثْنَيْ عَشَرَ وَقَالَ لَهُمْ: إِذَا أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَكُونَ أَوَّلًا فَيَكُونُ آخِرَ الْكُلِّ وَخَادِمًا لِلْكُلِّ" (مرقس 9: 35).

كان الربُّ يحاول أن يكشف لشاول ما بداخل قلبه. فكان يعلم أن شاول سيفهم هذه الكلمات رغم أنها لم تكن إعلانًا عن موافقة الله أو قبوله لها، ولم تُصلِح المصير الذي كان ينتظره في المستقبل. لقد كانت تعبيرًا عن قصد الله تجاه شاول وذلك في ضوء صفاته وطباعه وسلوكه. فلو تاب شاول عن خطيته، لكان من الممكن أن تتحوَّل لعنة تحريم (ذبح) النساء والأطفال إلى بركة كما نرى في قصة لاوي.

> "إن لاوي أحد أبناء يعقوب، كان من أقسى الأولاد وأشدّهم حقدًا وانتقامًا، وكان أحد الإثنين الذين ارتكبا جريمة قتل أهل شكيم. وإن صفات لاوي التي انعكست في نسله جلبت عليهم حكم الله القائل: "أقسمهما في يعقوب وأفرَّقهما في إسرائيل" (تكوين 49: 7). **ولكن التوبة أحدثت إصلاحًا، وبواسطة أمانة بني لاوي لله في وسط ارتداد باقي الأسباط استحالت (حوَّلت) اللعنة إلى أسمى آيات الكرامة"** (التربية الحقيقية، صفحة 148).

وكما أن الربّ لم يقصد أبدًا أن يضحي إبراهيم بابنه بل أن يكرّسه، كذلك لم تكن رغبته أو صفاته أن يقتل النساء والأطفال. ولكن بما أن كلاً من شاول وعماليق رفضوا الخضوع له واختاروا الشيطان أن

يكون مرشدًا لهم، فإتخذ الله وتظاهر بشخصية الحَكَم وصفاته، مُجرِدًا نفسه من صفات المحبة والرأفة التي يتسم بها الأب. وبحزنٍ حجب وجهه بينما كان الأطفال يُذبَحون وتُحطَّم رؤوسهم. إن رغبة شاول المستميتة في الحفاظ على عرشه هي التي قادته للقيام بهذه الأفعال الشنيعة المتطرفة التي كان من ضمنها قتل الأطفال. إلا أن هذه الأفعال لم تكن سوى أعمال عماليق التي ارتدت إليهم إذ أنهم ارتكبوا نفس الأشياء في حق شعوب أخرى في تاريخهم.

> "كان عماليق شعبًا متجولاً رحالاً، وكانوا يقطنون البرية الواقعة جنوب فلسطين، بين هذا البلد ومصر. وكباقي القبائل المجاورة، كانوا عبدة أوثان وأعداء لدودين لإسرائيل. وبعد الخروج بفترة قصيرة قاموا بمهاجمة الإسرائيليين في صحراء رفيديم، لكن يشوع ألحق بهم هزيمة ساحقة. لم يكن عماليق من بين الأمم التي مُنِحت أراضيها لإسرائيل، ولم يتلقوا أي أذى منهم. ولذلك فقد كان هذا الاعتداء غير مبرر على الإطلاق. **كما أنه كان من أكثر أعمال الجبن والقسوة، فالعدو إذ لم يجسر أن يدخل في مواجهة مباشرة مع العبرانيين، قام بمهاجمة وقتل أولئك الذين بسبب الهزل والإعياء سقطوا خلف صفوف الجنود**" (مجلة علامات الأزمنة، 24 أغسطس سنة 1882، الفقرة رقم 3).

إن الله لا يشاء أن يَهلِك أناسٌ، بل أن يُقبِل الجميع إلى التوبة. تصف إلن هوايت دينونة الله بهذه الطريقة:

> "لا يُسرُّ الربُّ بالانتقام، إلا أنه ينفذ حكم الدينونة في من يتعدون شريعته، وهو مضطرٌ لأن يفعل ذلك ليحفظ ساكني الأرض من الفساد والهلاك التام. ولكي يخلص البعض لا بد من أن يقطع أولئك الذين قد تقسوا في الخطية. فيقول النبي إشعياء: "لأَنَّهُ كَمَا فِي جَبَلِ فَرَاصِيمَ يَقُومُ الرَّبُّ، وَكَمَا فِي الْوَطَاءِ عِنْدَ جِبْعُونَ يَسْخَطُ **لِيَفْعَلَ فَعْلَهُ، فَعْلَهُ الْغَرِيبَ، وَلِيَعْمَلَ عَمَلَهُ، عَمَلَهُ الْغَرِيبَ**" (إشعياء 28: 21). إن فعل الغضب والقصاص هو حقًا فعلٌ غريبٌ، ولا يرحب به ذاك الذي ليس لمحبته نهايةً أو حدودًا" (مجلة علامات الأزمنة، 24 أغسطس سنة 1882، الفقرة رقم 15).

هذا دليلٌ آخرٌ يوضح لنا طبيعة الدينونة. تقتبس إلن هوايت إشعياء 28: 21 لتبين أن العمل الذي أُرتكب بحق عماليق كان عملاً غريبًا. الكلمتان المستخدمتان للإشارة إلى "غريب" في هذا النص تشيران إلى الإنصراف (الحيد) عن شيء والأمر الذي يصبح غريبًا. راجع كتابي "عمل الله الغريب" للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع. النقطة هنا هي أن الله كان مضطرًا أن يهجر عماليق ويتخلى عنهم. فانسحب وحاد عنهم، وسمح لغضب شاول أن يُفتَقد عليهم.

ودليل آخر يوضح لنا أن هذه الأفعال مرتبطة بافتقاد الخطية بالخطية نجده في صموئيل الأول 15: 2.

> "هكَذَا يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ: إِنِّي قَدِ **افْتَقَدْتُ (تذكرت)** مَا عَمِلَ عَمَالِيقُ بِإِسْرَائِيلَ حِينَ وَقَفَ لَهُ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ صُعُودِهِ مِنْ مِصْرَ" (صموئيل الأول 15: 2).

نلاحظ هنا أن الكلمة "افتقدت" هي نفس الكلمة الواردة في خروج 20: 5. فالربُّ يفتقد أو يتذكر ما فعله عماليق. فماذا تخبرنا الوصية الثانية بخصوص عملية الافتقاد؟

"أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابعِ مِنْ مُبْغِضِيَّ " (خروج 20: 5).

وهكذا نرى أن هناك علاقة مباشرة تبين لنا أن الله يعاقب الخطية بالخطية. فهو يسمح لعواقب الخطية أن تجلب العقاب على الأشرار. لقد كان شاول عاقدًا العزم في قرارة نفسه على أن يقوم بذلك. ومن خلال تصميمه هذا كان الربُّ يريد أن يختبر شاول ليرى إن كان سيطيع طاعة كاملة عندما أضاف الربُّ الأمر لما كان ينوي شاول القيام به.

"وعندما جاء الأمر بالقضاء على عماليق، لم يتردد شاول ولو لحظة واحدة، إذ أعلن الحرب في الحال، **وأضيف إلى سلطانه سلطان النبي.** فلما استدعى رجال إسرائيل للحرب لبوا النداء وانضووا تحت لوائه" (مجلة علامات الأزمنة، 31 أغسطس سنة 1882، الفقرة رقم 2).

حتى هذه اللحظة، كان شاول دائمًا يجد طريقة لتجنب القيام بما أمره به الرب. والربُّ إذ كان يعلم أن شاول كان عاقدًا العزم في قرارة نفسه أن يتخذ هذا الإجراء ضد عماليق، أرسل إليه رسالة يفهمه ويعلمه من خلالها أن سلطان النبي أضيف إلى سلطانه من أجل دعمه ومساندته فيما كان ينوي القيام به. فكما قال الملك سليمان: "هاتوا السيف وأشطروا الولد اثنين كي أعلم ما في قلوبكم"، هكذا أيضًا أخرج الربُّ السيف ضد عماليق حتى يعلم ما في قلب شاول.

في عقل شاول الأناني المظلم، إذا تمكّن بطريقة ما من إكمال إحدى المهام، حتى ولو كانت من اصطناعه الشخصي، فكان يظن أن هناك أمل في رجوعه وتوبته في المستقبل. كان هذا الامتحان هو امتحان شاول الأخير.

"إن هذه النصرة على عماليق كانت ألمع الانتصارات التي أحرزها شاول، وهذه أضرمت في قلبه نار الكبرياء التي كان يكمن له فيها أعظم الخطر. **أما أمر الربّ الذي قضى بهلاك أعداء الله هلاكًا شاملاً فقد نفذه جزئيًا**، إذ كان الملك يطمع في أن يزيد من شرف رجوعه الظافر بوجود ملك أسير في ركابه. كما أراد أن يتشبه بعادات الأمم المجاورة له، **فجازف بالعفو عن أجاج ملك عماليق الشرس الجريء. غير أن هذا العمل لم يكن بدون تأثير على الشعب، فشعروا أنه باستطاعتهم هم أيضًا المجازفة بأمان بالابتعاد عن تعليمات الله وتوجيهاته الصريحة. واحتفظ الشعب لأنفسهم بخيار الغنم والبقر والحيوانات حاملات الأثقال.** وها هو شاول يواجه آخر امتحان. إن استخفافه المتصلف بإرادة الله الذي أوضح تصميمه على أن يحكم كملك مستقل قد برهن على أنه لا يمكن أن يؤتمن على السلطان الملكي كنائب عن الرب" (مجلة علامات الأزمنة، 31 أغسطس سنة 1882، الفقرة رقم 3-5).

يا لهذا الإله الذي يسعى جاهدًا كي يخلّص البشر. لقد ملأ عماليق كأس إثمهم وشرهم، وصار هلاكهم مؤكدًا. وكان شاول بإيعاز من الشيطان عاقدًا العزم في قرارة نفسه أن يقتلهم وهو في قمة غيرته وشعوره بعدم الأمان والطمأنينة. لكنه لو أقدم على تنفيذ أفعاله وهو يحس أنه يتمم بذلك أمرًا من السماء، لكانت هناك فرصة يجد من خلالها التوبة ويحيا. أما صموئيل فقد صلّى من قلبه إلى شاول، لأنه أحبه كثيرًا، وبكى وصلى الليل كله لعل الربّ يلغي حكمه الرهيب.

"فإذ كان الملك وجيشه عائدين إلى الوطن في فورة الانتصار، وفي فرح عظيم، كان يخيّم على بيت صموئيل النبي حزن عميق. فرغبته القوية واهتمامه الشديد بخير ورفاهية إسرائيل لم تخمد أو تنقص. **وكان ما زال يحب ذلك المحارب الباسل الذي مسحته يديه ملكًا. لقد كانت صلاته الصادقة أن يكون قائدًا حكيمًا وحاكمًا ناجحًا.** وعندما أُعلِن لصموئيل أن شاول قد رُفِض أخيرًا، صرخ بحزنٍ وأسى إلى الربّ الليل كله، متضرعًا أن يُبطِل حكمه. وانطلق في صباح اليوم التالي بقلب حزين وجريح لمقابلة الملك المخطئ" (مجلة علامات الأزمنة، 31 أغسطس سنة 1882، الفقرة رقم 6).

12. مواجهة مع صموئيل

"وَلَمَّا جَاءَ صَمُوئِيلُ إِلَى شَاوُلَ قَالَ لَهُ شَاوُلُ: «مُبَارَكٌ أَنْتَ لِلرَّبِّ. قَدْ أَقَمْتُ كَلاَمَ الرَّبِّ». فَقَالَ صَمُوئِيلُ: وَمَا هُوَ صَوْتُ الْغَنَمِ هذَا فِي أُذُنَيَّ، وَصَوْتُ الْبَقَرِ الَّذِي أَنَا سَامِعٌ؟" (صموئيل الأول 15: 13 – 14).

يحاول شاول تبرير أفعاله ويلقي باللوم على الشعب. والمواجهة تحتد بينهما.

"لأَنَّ التَّمَرُّدَ كَخَطِيَّةِ الْعِرَافَةِ، وَالْعِنَادُ كَالْوَثَنِ وَالتَّرَافِيمِ. لأَنَّكَ رَفَضْتَ كَلاَمَ الرَّبِّ رَفَضَكَ مِنَ الْمُلْكِ. فَقَالَ شَاوُلُ لِصَمُوئِيلَ: «أَخْطَأْتُ لأَنِّي تَعَدَّيْتُ قَوْلَ الرَّبِّ وَكَلاَمَكَ، لأَنِّي خِفْتُ مِنَ الشَّعْبِ وَسَمِعْتُ لِصَوْتِهِمْ. وَالآنَ فَاغْفِرْ خَطِيَّتِي وَارْجعْ مَعِي فَأَسْجُدَ لِلرَّبِّ». فَقَالَ صَمُوئِيلُ لِشَاوُلَ: لاَ أَرْجعُ مَعَكَ لأَنَّكَ رَفَضْتَ كَلاَمَ الرَّبِّ، فَرَفَضَكَ الرَّبُّ مِنْ أَنْ تَكُونَ مَلِكًا عَلَى إِسْرَائِيلَ" (صموئيل الأول 15: 23 – 26).

وتصرّح إلن هوايت بالتعليق التالي:

"فلما سمع الملك هذا الحكم المخيف صرخ قائلاً: "أَخْطَأْتُ لأَنِّي تَعَدَّيْتُ قَوْلَ الرَّبِّ وَكَلاَمَكَ، لأَنِّي خِفْتُ مِنَ الشَّعْبِ وَسَمِعْتُ لِصَوْتِهِمْ". لقد ارتعب شاول بسبب كلمات الرفض والإدانة والتشهير التي نطق بها النبي، **ولكنه على الرغم من ذلك لم يكن لديه أي إحساس حقيقي بفداحة إثمه وخطيته. وأصر على إلقاء اللوم على الشعب** معلنًا أنه قد أخطأ خوفًا منهم" (مجلة علامات الأزمنة، 31 أغسطس سنة 1882، الفقرة رقم 12).

كان صموئيل ينوي المغادرة في تلك اللحظة، لكن شاول توسَّل إليه أن يبقى ويُكرِمه. كل ما يفكر فيه هو عرشه وكيفية الحفاظ عليه.

"والآن فشاول لا يقلق إلا على سمعته الشخصية المحطمة وضياع المملكة منه، وصار أكثر انزعاجًا لنفور صموئيل منه أكثر من انزعاجه لسخط الله عليه. لقد عرف أن الشعب يثقون بالنبي أكثر مما يثقون به هو. **ولو أن شخصًا آخر يمسح ملكًا بأمر الله فإنه يمسي، كما شعر شاول، من المستحيل عليه (شاول) أن يحتفظ بسلطانه، كما كان يخشى من نشوب ثورة ضده في الحال لو تركه صموئيل نهائيًا،** فتوسل شاول إلى النبي أن يكرمه أمام الشيوخ والشعب بالاشتراك العلني معه في خدمة دينية. وبناءً على تعليمات إلهية أجاب صموئيل الملك إلى طلبه حتى لا يمكون هنالك مجال لقيام ثورة. **إلا أنه بقى هناك كشاهد صامت في الخدمة ليس إلا.** بدون توبة وإتضاع، لم تكن عبادة شاول مقبولة في نظر الربّ" (مجلة علامات الأزمنة، 31 أغسطس سنة 1882، الفقرة رقم 16-17).

13. موت أجاج

نصل الآن إلى النقطة الحرجة ألا وهي موت أجاج. فكل الشعب كان يعلم أن شاول قد ارتكب شيئًا خاطئًا ولم يطيع الربّ طاعة كاملة، وشعروا بالذنب إذ أنهم أخذوا جزءًا من الغنم والبقر.

> "وكان لا بد حينئذ من إجراء عمل رهيب من أعمال العدل، إذ كان على صموئيل أن يزكي مجد الله وكرامته ويوبخ شاول على تصرفه علانية" (الآباء والأنبياء، صفحة 569).

إن الفهم البشري للعدالة والتكفير هو الموت. فلو بقي أجاج على قيد الحياة، فإن الذنب المتعلق بعدم إتباع الأوامر سيخيّم على إسرائيل. لم يكن صموئيل ينوي البقاء أثناء حدوث ذلك، لكن الربُّ أوصاه ألا يغادر. فبأية طريقة يمكن للربّ أن يُعيد إسرائيل إلى موضع يستطيعون من خلاله أخذ الخطوة الأولى في مسار التوبة؟ لقد كانوا يعلمون أن اختيار ملكٍ لم يكن أمرًا صائبًا. وفي حالة لم يُكفَّر عن الخطيَّة وفقًا لمفهومهم البشري عن العدل والعدالة، لما كان لديهم أمل في إيجاد التوبة الحقيقية. ففي الليلة السابقة عندما كان صموئيل بمفرده مع الله كان يصلّي بدموع من أجل شاول وإسرائيل. ولكنه الآن كان مُحاطًا بالارتداد، وكل الأعمال التي قام بها في مدرسة الأنبياء والجهود التي بذلها لتعريفهم على الحق كانت تبدو غامضة وغير جديرة بالثقة أو الاعتماد.

وكموسى الذي عندما نزل من الجبل ورآى ارتداد الشعب وشِركهم، فذلك دفعه إلى العمل بغيرة مقدسة من أجل الربّ. لقد تضرَّع موسى من أجل الشعب، وحتى تتزكى كرامة الله، فقد خرج الأمر بقتل العصاة المتمردين، لأنها كانت الطريقة الوحيدة التي يستطيع الشعب من خلالها أن يدركوا ويفهموا حسب مفهومهم البشري أن العدالة قد تحققت وأخذت مجراها.

لا يذكر الكتاب المقدس أن صموئيل تلقى أمرًا مباشرًا من الله ليقتل أجاج. إلا إنه كان يعلم أن ذلك الرجل يمثل إهانة للسيّد الربّ، وكذلك أيضًا سقوط شاول الكامل كملك. ظل صموئيل مستيقظًا الليل كله، وهل من الممكن أن تعكس الطريقة التي قُتِل بها أجاج الجروح العميقة التي ألحقتها به إسرائيل والتي ظهرت في هيئة إحباط وخيبة أمل؟

> "فَقَالَ صَمُوئِيلُ: «كَمَا أَثْكَلَ سَيْفُكَ النِّسَاءَ، كَذلِكَ تُثْكَلُ أُمُّكَ بَيْنَ النِّسَاءِ». فَقَطَعَ صَمُوئِيلُ أَجَاجَ أَمَامَ الرَّبِّ فِي الْجِلْجَالِ" (صموئيل الأول 15: 33).

أدلى واحدٌ من رواد كنيسة الأدفنتست بالتعليق التالي:

> "كان صموئيل نبيًا صالحًا منذ نعومة أظافره، لكنه قَطَعَ أجاج أمام الربّ في الجلجال. **فعلى ما يبدو أن صموئيل سقط سقوطًا محزنًا يُرثى له** بأن يتقسّى بهذا الشكل ويرتكب جريمة قتل أمام الربّ في الجلجال" (ستيفين بيرس، مجلة الريفيو آند هيرالد، 28 أكتوبر سنة 1862).

في حين أنني أعتقد أن هذا التقييم قاسيًا في السياق الذي ورده فيه، إلا أن تقطيع هذا الرجل إربًا يوحي بالغيرة وخيبة الأمل من المحتمل. أراد شاول من صموئيل أن يكرمه أثناء الاحتفال بالنصر. إلا أن صموئيل أفسد أجواء الحفلة، فجسد أجاج المُقطَّع كان مبعثرًا في كل مكان على الأرض التي كان المحتفلون واقفون عليها. فموت أجاج قدَّم لشعب إسرائيل في ذلك الوقت المفهوم الخاص بالعدالة الذي

كان باستطاعتهم فهمه واستيعابه. فقد جعلهم ذلك يفكرون في موضوع الكفارة كما صنع فِينْحَاسُ بن ألعازار بن هارون كفارةً بقتل زِمري و كُزْبِي. فيقول الكتاب:

"فِينْحَاسُ بْنُ أَلِعَازَارَ بْنِ هَارُونَ الْكَاهِنِ قَدْ رَدَّ سَخَطِي عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِكَوْنِهِ غَارَ غَيْرَتِي فِي وَسَطِهِمْ **حَتَّى لَمْ أُفْنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِغَيْرَتِي.** لِذلِكَ قُلْ: هأَنَذَا أُعْطِيهِ مِيثَاقِي مِيثَاقَ السَّلاَمِ، فَيَكُونُ لَهُ وَلِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِيثَاقَ كَهَنُوتٍ أَبَدِيٍّ، **لأَجْلِ أَنَّهُ غَارَ للهِ وَكَفَّرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ"** (سفر العدد 25: 11 – 13).

نرى هنا أن فينحاس غار من أجل الربّ، وهي نفس الكلمة المستخدمة في خروج 20: 5. ففينحاس قام بهذا العمل وفقًا لمفهومه البشري عن العدل والعدالة. ورغم أن مفهوم العدالة الذي كان يفهمه هو عدالة الشيطان المزيفة، فقد كان ذلك هو الطريقة الوحيدة التي يمكن للشعب من خلالها أن يحسوا ويدركوا أن العدالة والكفارة قد تحققت. وكان ذلك هو الحال بخصوص القادة الذين قتلوا بسبب ذلك العصيان.

"إن الممارسات الآثمة أوقعت على إسرائيل الشرور التي لم يستطع بلعام بكل سحره وعرافته أن يوقعها عليهم. فلقد فصلت الشعب عن الله **وبسبب الضربات السريعة المفاجئة استيقظ الشعب من سكرتهم ليروا هول خطيتهم،** إذ تفشى وبأ فتاك رهيب في المحلة حصد أرواح ربوات من الشعب. كما أمر الرب القضاة أن يقتلوا أولئك الذين كانوا في طليعة المرتدين. فنُفِذ الأمر بسرعة. **لقد قتل المجرمون وعلقت جثثهم عالية أمام عيون كل إسرائيل، حتى حين ترى تلك الجماعة أولئك القادة يعاملون بمنتهى القسوة ينشأ فيهم إحساس عميق بكراهة الله لخطيتهم وغضبه المريع عليهم. وقد أحس الجميع بعدالة القصاص** فأسرع الشعب إلى خيمة الاجتماع باكين ومتذللين واعترفوا بخطيتهم" (الآباء والأنبياء، صفحة 404).

عندما رأى الشعب أن أولئك الذين كانوا في طليعة المرتدين قد قتلوا، أحس الجميع بعدالة القصاص، إذ أن ذلك كان فهمهم للعدالة. فكل خطية لا بد أن تأخذ عقابها وجزاءها حسب عدالة الشيطان. ومرة أخرى فقد كان للأمر صلة بالشِرك وعبادة الأوثان، وإتبع الربُّ الخطوات المذكورة في خروج 20: 5، إذ إنه افتقد ذنوبهم عليهم.

ولهذا السبب كان ينبغي أن يُضحَّى بأجاج لإشباع المفهوم البشري للعدالة. فكما كفَّر فينحاس لأجل إسرائيل بموت زِمري وكُزبي هكذا كفَّر صموئيل لأجل إسرائيل بموت أجاج. هذه هي الكفارة كما يفهمها البشر لكي نرى أن العدالة أخذت مجراها، ونؤمن حينئذ إنه يمكن لله أن يقبلنا. تقدم كل هذه الذبائح على مذبح من النحاس، وهي عبارة عن مزيج من رحمة الله وعدالة الشيطان. إنها الوسيلة الوحيدة التي يستطيع الله من خلالها أن يفتح أبواب قلوبنا كي ندخل بالإيمان إلى القدس الذي يحتوي فقط على الذهب والفضة.

14. جروح صموئيل تُعلن

كان أسهل على أجاج أن يموت ببساطة وهو سجين بسبب سكتة دماغية ناجمة عن الخوف أو الإصابة بمرض آخر. وكانت هناك آلاف العوامل والأسباب الطبيعة الأخرى لموت هذا الإنسان نظرًا لتوقف الحماية الإلهية، ولكن كما كان المسيح محفوظًا لمواجهة موت الصليب، كذلك أجاج كان محفوظًا لمواجهة القتل بحد السيف. لقد كان من الضروري أن تُرى العدالة كي تتحقق وتأخذ مجراها. وكان من الضروري أن يُقدَّم تكفيرًا كي ما يُفتَح باب الرحمة، كما كان على صموئيل أن يدرك ويحس بالبذرة التي زُرِعت فيه عندما جُرِح جَرحًا عميقًا. وهذا درس من الدروس التي يتوجب علينا التأمل فيها وأخذها على محمل الجد. فهل توجد جراح عميقة في قلوبنا سبَّبها لنا آخرون لم نغفرها لهم أو نطلب من الربّ أن يداويها ويشفيها؟ إن هذه الجراح ستظهر مجددًا في المستقبل، فدعونا نصلي أن يكشف لنا الربّ عن الخطايا المستترة، وأن نتركها حتى لا نصير كالخاطئ الذي يُستَخدم كوسيلة لمعاقبة الخطيّة.

والدليل الآخر على أن صموئيل بقتله لأجاج كان يعمل أو يتصرَّف في الخطية هو الخوف من الموت الذي وقع عليه بعد ما قام بذك.

> "فَقَالَ الرَّبُّ لِصَمُوئِيلَ: «حَتَّى مَتَى تَنُوحُ عَلَى شَاوُلَ، وَأَنَا قَدْ رَفَضْتُهُ عَنْ أَنْ يَمْلِكَ عَلَى إِسْرَائِيلَ؟ اِمْلأْ قَرْنَكَ دُهْنًا وَتَعَالَ أُرْسِلْكَ إِلَى يَسَّى الْبَيْتَلَحْمِيِّ، لأَنِّي قَدْ رَأَيْتُ لِي فِي بَنِيهِ مَلِكًا». **فَقَالَ صَمُوئِيلُ: «كَيْفَ أَذْهَبُ؟ إِنْ سَمِعَ شَاوُلُ يَقْتُلْنِي»**" (صموئيل الأول 16: 1 – 2).

وهو ما حدث بالضبط لإيليا بعد ما قتل أنبياء البعل.

> "فَأَرْسَلَتْ إِيزَابَلُ رَسُولًا إِلَى إِيلِيَّا تَقُولُ: «هكَذَا تَفْعَلُ الآلِهَةُ وَهكَذَا تَزِيدُ، إِنْ لَمْ أَجْعَلْ نَفْسَكَ كَنَفْسِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي نَحْوِ هذَا الْوَقْتِ غَدًا». **فَلَمَّا رَأَى ذلِكَ قَامَ وَمَضَى لأَجْلِ نَفْسِهِ**، وَأَتَى إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ الَّتِي لِيَهُوذَا وَتَرَكَ غُلاَمَهُ هُنَاكَ" (ملوك الأول 19: 2 – 3).

لم يكن لدى صموئيل أي خوف من شاول قبل أن يقوم بقتل أجاج. فخوفه من الموت لم يقع عليه إلا بعد أن قتله. فلو كان ذلك فعلاً بارًا، لما شعر بذلك الخوف. كما أن عواقب فعلته لم تتوقف عند هذا الحد، فعندما ذهب صموئيل إلى بيت يسَّى ليمسح الملك القادم، فإنه لم يكن على دراية بالشخص المناسب.

> "وَكَانَ لَمَّا جَاءُوا أَنَّهُ رَأَى أَلِيآبَ، فَقَالَ: «إِنَّ أَمَامَ الرَّبِّ مَسِيحَهُ». فَقَالَ الرَّبُّ لِصَمُوئِيلَ: لاَ تَنْظُرْ إِلَى مَنْظَرِهِ وَطُولِ قَامَتِهِ **لأَنِّي قَدْ رَفَضْتُهُ. لأَنَّهُ لَيْسَ كَمَا يَنْظُرُ الإِنْسَانُ. لأَنَّ الإِنْسَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْعَيْنَيْنِ، وَأَمَّا الرَّبُّ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْقَلْبِ**" (صموئيل الأول 16: 6 – 7).

كان هناك قدرٌ من الارتباك في قدرة صموئيل على تحديد الملك التالي الذي يريده الربّ. فقد أعمى شيءٌ ما بصيرته حيث أخبره الله إن الإنسان ينظر إلى المظهر الخارجي، لكن صموئيل هو الذي اختار أَلِيآب، لأن الإنسان ينظر إلى العينين كما يقول الكتاب. لقد كان الأمر مختلفًا عندما دُعِي صموئيل قبل ذلك ليمسح شاول، فقد كان الله قادرًا على التواصل المباشر معه.

"وَالرَّبُّ كَشَفَ أُذُنَ صَمُوئِيلَ قَبْلَ مَجِيءِ شَاوُلَ بِيَوْمٍ قَائِلًا: **غَدًا فِي مِثْلِ الآنَ أُرْسِلُ إِلَيْكَ رَجُلًا مِنْ أَرْضِ بَنْيَامِينَ**، فَامْسَحْهُ رَئِيسًا لِشَعْبِي إِسْرَائِيلَ، فَيُخَلِّصَ شَعْبِي مِنْ يَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، لأَنِّي نَظَرْتُ إِلَى شَعْبِي لأَنَّ صُرَاخَهُمْ قَدْ جَاءَ إِلَيَّ. **فَلَمَّا رَأَى صَمُوئِيلُ شَاوُلَ أَجَابَهُ الرَّبُّ: هُوَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَلَّمْتُكَ عَنْهُ.** هذَا يَضْبِطُ شَعْبِي" (صموئيل الأول 9: 15 – 17).

صحيح أن الرب أخبر صموئيل أن داود هو الملك التالي عندما رآه صموئيل، لكن ذلك تسبَّب في حالة من الارتباك والتشويش التي لم تحدث لصموئيل من قبل. تستخدم روح النبوة هذه القصة كمثال لا يجب علينا أن نقتدي به.

"ولكن من هو كفوء لأن يختار من بين عائلة بها أطفال أولئك الذين ستقع عليهم أهم المسؤوليات؟ ما أكثر ما يتبرهن خطأ الإنسان في الحكم! **اذكروا اختبار صموئيل** عندما أُرسِل لكي يمسح واحدًا من أبناء يسَّى ليكون ملكًا على العبرانيين. وقد مرَّ أمامه سبعة من الشبان الذين كانت تلوح عليهم أمائر النُبل. **فعندما نظر إلى الأول الذي كان جميل الصورة وحسن التكوين ومتناسق الأعضاء وكان ذا هيئة ملكيّة صاح النبي قائلاً: "إنَّ أمام الرب مسيحه"** ولكن الله قال له: "لاَ تَنْظُرْ إِلَى مَنْظَرِهِ وَطُولِ قَامَتِهِ لأَنِّي قَدْ رَفَضْتُهُ. لأَنَّهُ لَيْسَ كَمَا يَنْظُرُ الإِنْسَانُ. لأَنَّ الإِنْسَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْعَيْنَيْنِ، وَأَمَّا الرَّبُّ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْقَلْبِ" (التربية الحقيقية، صفحة 265 و266).

"ذلك أن أليآب لم يكن يتقي الرب، فلو دعي لاعتلاء العرش لأصبح ملكًا عاتيًا متجبرًا" (الآباء والأنبياء، صفحة 575).

تبين لنا هاتان النقطتان أن صموئيل كان يعاني من الآثار المترتبة على قتل إنسان آخر. طلب الربُّ من صموئيل أن يبقى في موضع الاحتفال حتى يتمكن من اكتشاف الجرح الذي ظل موجودًا فيه. لقد كان الرب يحاول كشف شخصية صموئيل وصفاته، وفي الوقت ذاته سمح لأجاج أن يتلقى عواقب اختياراته، وسمح للشعب أن يروا ويؤمنوا أن الكفارة قد تحققت وأن العدالة قد أخذت مجراها. حكيمٌ هو أبونا الذي في السماء! وكم هي مساعيه صادقة في الوصول إلى قلوب البشر وكشف الزغل الذي لا يزال يوجد في أنفسهم.

ويا له من شيء رائع أن نعلم أن أبانا السماوي لا يقوم بإدانتنا بسبب ضعفاتنا وأخطائنا. فهو يدبّر الأحداث لكشف طبائعنا وصفاتنا لكي تَكثُر الخطية. وبمجرد أن أظهر صموئيل غيرته، كان لديه وقت للتأمل فيما فعله والصلاة لأجل أية جراح متبقية في قلبه.

حقًا كان صموئيل رجلاً عظيمًا يتقي الربّ، وكان يخدمه بأمانة وإخلاص كل سني حياته. لقد امتحنه الرب لتنقية الشوائب والزغل المتبقي في نفسه وإعداده لموطنه السماوي.

15. الخاتمة

هناك العديد من النقاط الأخرى التي يمكن طرحها، ولكنني أعتقد أننا أثبتنا بالأدلة الواضحة أن نظام العدالة الموحى به من الشيطان والذي غُرِس في عقل الإنسان هو ما دفع البشرية إلى الحاجة إلى تقديم الذبائح والتكفير عن الخطية. لم يريد الله ذبيحةً أبدًا.

> "لأَنِّي لَمْ أُكَلِّمْ آبَاءَكُمْ وَلاَ أَوْصَيْتُهُمْ يَوْمَ أَخْرَجْتُهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ جِهَةِ مُحْرَقَةٍ وَذَبِيحَةٍ" (إرميا 7: 22).

ولنتذكر أن الله أبانا لكي ما يساعدنا أن نؤمن إن الكفارة يمكنها أن تتحقق، فلا بد من أن تكون هناك ذبيحة. يا لها من حقيقة رائعة أن يكون الله مستعدًا للتضحية بابنه من أجل إرضاء مفهومنا البشري عن العدالة كي ننال رحمته! إنها محبة تفوق الوصف والفهم!

إن الله لا يقتل الأطفال الصغار، ولم تكن لديه هذه الرغبة على الإطلاق. عندما يختار البشر أن يرفضوه ويسيرون وراء آلهة أخرى من ابتداع الشيطان، فالرحمة تضطر أن تطوي أجنحتها، ويضطر الرب السماح لعدالة الشيطان المزيفة أن تُشبَع وتتحقق لكي يفتح الإنسان مرة أخرى الباب لدخول الرحمة. عندما يُبغِض البشر الله، فهم يحبون الموت، حيث أن فكر الإنسان الخاطئ عن العدالة لا بد أن يتضمن الموت أيضًا.

> "لقد أُعلِن لي أن دينونة الله لن تحل مباشرةً عليهم (أي البشر) من قبل الربّ، ولكنها ستحل عليهم عندما يضعون أنفسهم خارج نطاق حمايته. فهو يحاول إنذارهم وتقويمهم وتوبيخهم ويعرض عليهم السبيل الوحيد للأمان. ولكن إذا قرّر أولئك الذين هم موضع رعايته الخاصة، أن يسلكوا في مسلكهم الخاص، بعيدًا عن روح الله، وإذا أصرّوا على عنادهم والتمسك بطريقهم الخاص رغم الإنذارات المتكررة، فهو لا يوصي ملائكته بأن تقيهم من غارات الشيطان المؤكدة ضدهم. إن قوة الشيطان تعمل في البحر وعلى الأرض، وهي التي تجلب الكوارث والنكبات وتجتاح الجموع حتى يتمكن من إقتناص فريسته" (أحداث زمن النهاية، صفحة 242، الفقرة 2).

إن أشرس هجمة شنها الشيطان علينا هي نظام عدالته المزيف. وقد جاء الرب يسوع ليعلن الحقيقة عن الله حتى نتمكن نحن من فهم واستيعاب الحقيقة عن عدالة الله.

> "عندما نرى قداسة إله الكون ومجده (من منظور بشري) نشعر بالرعب، لأننا نعلم أن عدالته لن تأذن له بالإعفاء عن المذنبين. **إلا أننا غير مضطرين للبقاء في حالة من الرعب، لأن المسيح جاء إلى العالم ليُظهِر صفات الله، وليكشف عن محبته الأبوية تجاه أبنائه بالتبني.** ولا ينبغي لنا أن نقدّر شخصية الله وصفاته من خلال الأحداث العجيبة التي تتم في الطبيعة وحدها، بل من خلال حياة يسوع البسيطة والحلوة، فيهوه الربُّ الذي أعلنه لنا هو أكثر رحمة ورأفة وعطفًا وشفقة من أبوينا الأرضيين. **لقد قدَّم يسوع الآب كشخص يمكننا أن نمنحه ثقتنا ونقدم له رغباتنا واحتياجاتنا. وعندما تمتلكنا حالة من الرعب تجاه الله وتكتنفنا الفكرة المتعلقة بمجده وعظمته، فإن الآب يوجهنا إلى المسيح كممثل له. وما تراه مكشوفًا في يسوع من لطف وشفقة ورحمة**

> **ومحبة هو انعكاس لصفات الآب.** إن صليب الجلجثة يكشف للإنسان محبة الله. والمسيح يمثل ملك الكون باعتباره إله المحبة. وعلى لسان النبي قال: "وَمَحَبَّةً أَبَدِيَّةً أَحْبَبْتُكِ، مِنْ أَجْلِ ذلِكَ أَدَمْتُ لَكِ الرَّحْمَةَ (دليل الشبيبة، 22 سبتمبر سنة 1892، الفقرة رقم 2).

إن الآب السماوي هو إله رحيم لأولئك الذين يقتربون إليه في المسيح. فلا دينونة على أولئك الذين يرون الآب من خلال حياة المسيح الأرضية. وأولئك الذين لا يُبصِرون من خلال المسيح سيرون الله كإله غيور ومنتقم ومُحبٍ للعقاب، وسيكتشفون أن الله مثلهم. لكن الله سوف يفتقد الاختيارات التي إتخذها الشيطان ومن والاه وصدقوها، وستكون هي نفسها الشيء الذي سيدينهم في النهاية. ومن خلال شِرك الشيطان وأفكاره الخاصة عن العدالة، فإن الله سيأخذ أو سيظهر بصفات الحكم، مُجرِدًا نفسه من صفات الآب المُحِبة والعطوفة، وسوف يواجه الشيطان العدالة المطلوبة.

> "**سوف يُدان الشيطان بواسطة فكرته الخاصة عن العدالة.** لقد كان يتوسل أن تأخذ كل خطية عقوبتها. وكان يزعم أنه لو أزال الله العقوبة، فإن الله ليس إله حق أو عدل. إن الشيطان سوف يواجه القصاص الذي قال أن الله ينبغي تطبيقه" (من مخطوطات روح النبوة، مخطوطة 12، صفحة 413).

كتب أخرى متاحة عبر موقعنا الألكتروني https://maranathamedia.com/

الجلجثة في مصر

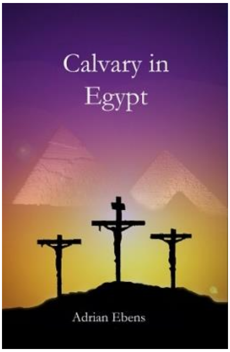

تأمل في الكلمات التالية. إن الشيطان يتحكم في عقول الجنود الرومان، لكن النَفَسْ الذي يعيشون به هو الحياة التي تنير كل إنسان آتيًا إلى العالم. ويستخدم الشيطان قوة المسيح الحالة في البشر لتسميره على الصليب. توقف للحظة وفكر في ذلك. إن صورة الجندي الروماني وهو يحمل في يده المطرقة ويرفعها عاليًا ليضع المسمار في يدي المخلِّص الغاليتين، تساعدنا على فهم الضربات التي حلّت على مصر وكل قوى الدمار والخراب التي تجلّت على الأرض.

آلهة مصر كبرقٍ من السماء

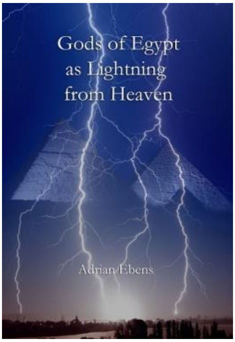

يحتوي الكتاب المقدس على العديد من الأمثلة لأشخاص حُكِم عليهم بالرجم حتى الموت بسبب آثامهم وتعدياتهم. فما هو مصدر هذه الممارسة؟ وهل كان الله هو مَنْ عرَّف موسى بهذه الفكرة أم أنها أتت من مصدر آخر؟ وهل يمكن أن تكون الأحكام التي وقعت على إسرائيل تتعلق بأفكارهم ومفاهيمهم الخاصة عن الدينونة، وأن الله لم يكن هو مصدرها؟ وهل غيرت خطية العجل الذهبي أي شيء في العلاقة بين الله وإسرائيل؟ هل يهم أن نعرف ذلك؟ من له أذنان للسمع فليسمع.

الحيَّة تُكشَف في معركة كنعان

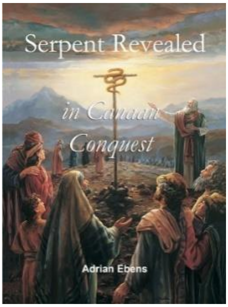

كيف يمكننا التوفيق بين قتل الأمم الذي كان يتم بالجملة بواسطة إسرائيل بحد السيف، وبين ما قاله السيد المسيح؟ "لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يَهلِكون". وليس فقط الرجل، بل النساء والأطفال أيضًا: "وأخذنا كل مدنه في ذلك الوقت وحرَّمنا من كل مدينة الرجال والنساء والأطفال لم نبق شاردًا" (تثنية 2: 34)؟

العدالة الطبيعية والكفارة

في حياة شاول وأجاج

إن قتل عماليق بما في ذلك النساء والأطفال هو من أكثر القصص التي يصعب شرحها في الكتاب المقدس. لماذا تم الأمر بذلك باسم الله؟

كيف يمكن لهذه القصة أن تُفهَم في نور الصليب؟

"يفسر سر الصليب جميع الأسرار الأخرى. وفي النور المنبعث من جلجثة تبدو صفات الله، التي كانت قبلاً تملأ قلوبنا خوفًا ورهبة، جميلة وجذابة. فالرحمة واللطف والمحبة الأبوية تُرى ممتزجة بالقداسة والعدل والقدرة. وفيما نرى جلال عرشه مرتفعًا وعاليًا، فإننا نتبيّن صفاته في إعلاناته الرحيمة وندرك، كما لم ندرك من قبل، معنى هذا اللقب المحبَّب إلى قلوب الناس "أبانا" (الصراع العظيم، صفحة 705).

لقد أدخل الشيطان نظامًا مزيفًا للعدالة أصاب الكون كله. وكادت الحاجة لمعاقبة الإثم والخطية تكون عالمية. كيف يمكن لعدالة الشيطان أن تُشبِع رحمة الله بطريقة مجدية تفتح قلب الإنسان إلى الله؟

عجائب الصليب تفسّر كل ذلك وأكثر. اقرأ واكتشف بنفسك الحق الخاص بهذا السؤال، وتحرَّر من الاعتقاد الرهيب أن إله الكتاب المقدس هو المسؤول المباشر عن قتل الأطفال الصغار.